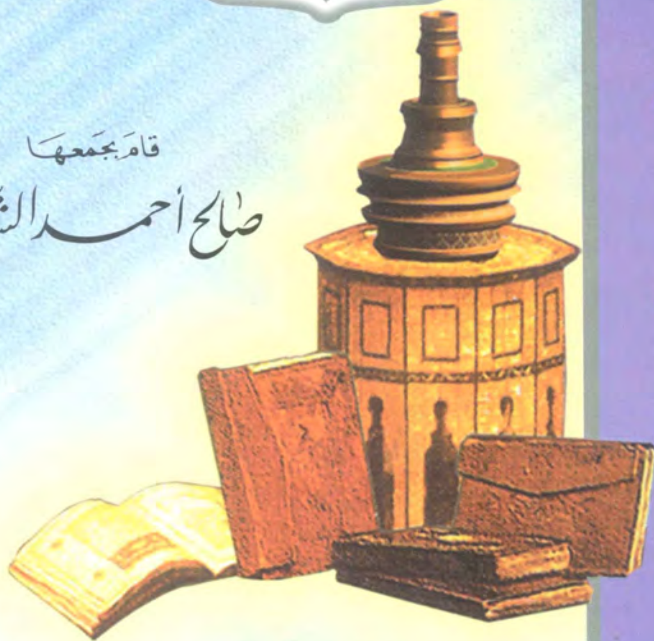
مَوَاعِظُ

الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٤٧١ - ٥٦١ هـ)



قام بجمعها

صالح أحمد الشّامي

المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٤٧١ - ٥٦١ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

عندما نتحدث عن الوعظ والوعاظ يبرز اسم «الشيخ عبد القادر الجيلاني» علماً شامخاً على مرِّ الأيام التي تلت زمنه، فَقَلَّ مسلم لم يسمع به.

فهو أحد المربين الكبار، والشيوخ الكبار، الذين لم يقتصر أثرهم على زمنهم بل امتد إلى الأجيال التي جاءت من بعدهم.

كان اتجاهه إلى الوعظ ـ وهو العالم الكبير ـ تلبية للحاجة الملحة وتطبيقاً لسلَّم الأولويات.

فقد رأى أن مجتمعه لم يكن ينقصه الفقيه المتخصص، ولا الأصولي النظار، ولا النحوي العالم باللغة ـ وكان يتقن كل ذلك وغيره ـ وإنما يفتقد العالم الذي يقود عامة

الناس، فيخرج بهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الانغماس في الذنوب والآثام والمعاصي إلى التوبة والاستغفار والتزام الصراط السوي، ومن النظر إلى الخلق والاهتمام بهم إلى إخلاص العمل للخالق عزّ وجلّ. .

وجد الميدان خالياً، فرأى من واجبه أن يملأه، فقد تحول في حقه هذا الفرض الذي كان على الكفاية إلى فرض عين، فشمر عن ساعد الجد، وباشر العمل، وقد جمع الله عليه القلوب، وأصغى له الناس بأسماع قلوبهم. . فكان الخير الذي عمّ بغداد يومئذ وتجاوزها إلى غيرها.

وإني إذ أقدم باقات من مواعظه ـ لتنضم إلى مثيلاتها في سلسلة معالم في التربية والدعوة ـ لأرجو أن ينفع الله بها، كما نفع بها من قبل، وما زالت الكلمة الطيبة كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

كما أرجوه ـ تعالى ـ أن ينفعني بها، وأن يجعل هذا العمل وسائر أعمالي خالصة له، إنه نعم المسؤول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

غرة ذي الحجة ١٤٢٢هـ
١٣/ ٢/ ٢٠٠٢م

كتبه
صالح أحمد الشامي

ترجمة الشيخ عبد القادر

هو عبد القادر ابن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني نسبة إلى جيل، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، وبها ولد، ويقال لها أيضاً: جيلان وكيلان[1].

كانت ولادته سنة (٤٧١هـ) كما في معظم تراجمه.

وقد توفي والده وهو صغير، فنشأ يتيماً، وقضى المرحلة الأولى من حياته مع والدته حيث ولد، فلما شب عزم على الذهاب إلى بغداد طلباً للعلم.. وقد وصل إليها سنة (٤٨٨هـ)، وهي السنة التي ترك فيها الإمام أبو حامد الغزالي التدريس في المدرسة النظامية في بغداد وآثر العزلة.

وكانت والدته قد زوّدته بأربعين ديناراً يستعين بها على معيشته.. ولكنها لم تصمد طويلاً.. وما عسى أن تغني في هذه الرحلة الطويلة.

---

(١) شذرات الذهب ١٩٨/٤.

وقد مرت عليه أيام عجاف عاش فيها في ضنك شديد، وقد تحدث عن بعض ذلك فقال:

«كنت أقتات الخرنوب والشوك والبقل وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت بي الضائقة في غلاءٍ نزل ببغداد، إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها.

فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلِّي أجد ورق الخس أو البقل أو غير ذلك فأتقوّت به، فما ذهبت إلى موضع إلا وغيري قد سبقني إليه، وإذا وجدت الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياءً.

فرجعت أمشي وسط البلد، فلا أدرك منبوذاً إلا وقد سُبقت إليه، حتى وصلت إلى مسجد بسوق الريحانيين ببغداد، وقد أجهدني الضعف، وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه، وقعدت في جانب منه. وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي، ومعه خبز رصافي وشواء، وجلس يأكل، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فيّ من شدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي، وقلت: ما هذا؟

إذ التفتَ العجمي فرآني، فقال: باسم الله يا أخي، فأبيت، فأقسم عليّ، فبادرت نفسي فخالفتها، وأقسم أيضاً فأجبته فأكلت.

فأخذ يسائلني: من أين أنت، وبمن تُعْرَف؟ فقلت: أنا متفقه من جيلان، فقال: وأنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر، يعرف بأبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو، فاضطرب وتغيّر وجهه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا ما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً، فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي.

فقلت له: وما ذاك؟ قال: أمك وجهت لكل معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها هذا للاضطرار وأنا معتذر إليك.

فسكنته وطيّبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب فقبله وانصرف...»[1].

ويبدو أن والدته كانت ترسل له بعض النقود بين حين وآخر، فبعضها يصل إليه، وبعضها لا يصل، فبغداد مدينة كبيرة، وهو لم يكن قد عرف بعد.

---

(١) شذرات الذهب ٤/٢٠١ ـ ٢٠٢.

حياته العلمية:

بدأ الشيخ حياته العلمية بعد وصوله إلى بغداد سنة (٤٨٨هـ).

وبغداد يومئذ من أعظم مراكز العلم في ديار الإسلام، وكان فيها الصفوة من العلماء في كل فن.

وأخذ يسأل عن مدارس الفقهاء وحلقات المحدثين.. وكان يقضي وقته متعلماً في حلقات العلم..

واستمرت حياة التلقي عنده ما يزيد عن ثلاثين عاماً، أتقن فيها كثيراً من العلوم والفنون.. بما في ذلك علم السلوك والتصوف..

قال ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: «كان يتكلم في ثلاثة عشر علماً، كانوا يقرؤون عليه درساً في التفسير، ودرساً في الحديث، ودرساً في المذهب، وكان يفتي على مذهبي الشافعي وأحمد بن حنبل، ودرساً في الخلاف، ودرساً في الأصول وفي النحو، وكان يقرأ بالقراءات بعد الظهر»[١].

وكان يحضر دروسه كبار العلماء، وتوجد في درسه

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للندوي، ص٢٥٨.

مئات المحابر، الأمر الذي يذكرنا بدروس الإمام الغزالي.

وإن سعة علمه كانت من البواعث الرئيسة لكبار العلماء على حضور دروسه.

قال الحافظ أبو العباس أحمد البندنيجي: حضرت أنا والشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمه الله تعالى مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه.. فقرأ القارئ آية، فذكر الشيخ في تفسيرها وجهاً..

فقلت للشيخ جمال الدين: تعلم هذا الوجه؟

قال: نعم.

ثم ذكر وجهاً آخر، فقلت له: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم.

فذكر فيها الشيخ أحد عشر وجهاً، وأنا أقول له: أتعلم هذا الوجه؟ وهو يقول: نعم.

ثم ذكر الشيخ فيها وجهاً آخر. فقلت له: أتعلم هذا الوجه؟

قال: لا.

حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهاً، يعزو كل وجه إلى قائله، والشيخ جمال الدين يقول: لا أعرف هذا

الوجه، واشتد عجبه من سعة علم الشيخ رضي الله عنه[1].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى:

كان الشيخ عبد القادر.. شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته.. وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً.. وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم بالتبجيل والإعظام والرجوع إلى قوله، والمصير إلى حكمه..[2].

ومما يدل على مكانته العلمية، ما نقله ابنه الشيخ عبد الرزاق حيث قال:

«جاءت فتوى من بلاد العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على علماء العراق، فلم يظهر لأحد منهم فيها جواب شاف. وصورتها:

ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد له أن يعبد الله عزّ وجلّ عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات، أفتونا مأجورين.

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني للدكتور عبد الرزاق الكيلاني، ص١٧٠، نقلاً عن «قلائد الجواهر».

(٢) المصدر قبله، ص٢٩٩.

فأُتي بها إلى والدي فكتب على الفور: يأتي مكة المكرمة ويُخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً[1] وتنحل يمينه.

فما بات المستفتي ببغداد تلك الليلة وتوجه إلى مكة شرفها الله[2].

مجالس وعظه وتدريسه:

كان شيخه القاضي أبو سعيد المخرمي الحنبلي قد بنى لنفسه مدرسة بباب الأزج في بغداد، وكان يدرس فيها الفقه على المذهب الحنبلي. وقد انقطع إليه الشيخ عبد القادر في سنوات دراسته الأخيرة من سنة (٥٢١هـ) وكان يساعد شيخه في التدريس إلى أن توفي الشيخ رحمه الله.

ولما توفي الشيخ أبو سعيد لم يجد تلاميذه أفضل من الشيخ عبد القادر يفوضون مدرسته إليه، فجلس فيها للتدريس والفتوى والوعظ والإرشاد، ولكنها ضاقت بالناس فخرج إلى المصلى، خارج سور بغداد ليلقي دروسه هناك.

---

(١) أي سبعة أشواط.

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني للدكتور عبد الرزاق الكيلاني، ص١٧٠، عن «قلائد الجواهر»، ص٣٨.

ثم اشترى أهل الخير مدرسة المخرمي من ورثته ووسعوها وبنوها من جديد على شكل مدرسة للعلم، ورباط للمريدين والتلاميذ، وصارت تدعى بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهي لا تزال موجودة حتى الآن في بغداد، وتدعى المدرسة القادرية[1].

وقد اشتهر الشيخ بمجالس وعظه التي كان يقصدها الآلاف، وقد كان له التأثير الكبير في إصلاح المجتمع، فقد أسلم على يده أكثر من خمسة آلاف، وتاب على يده أكثر من عشرين ألفاً[2].

وكان للشيخ نوعان من الدروس:

دروس منتظمة تتناول شتى فنون المعرفة إضافة إلى التربية الروحية المنتظمة، وهو ما كان يقوم به في المدرسة المذكورة.

ودروس الوعظ والدعوة للجماهير، وكان يلقيها في ثلاثة أوقات بانتظام: صباح يوم الجمعة، ومساء يوم الثلاثاء، ومكان ذلك في المدرسة المذكورة، وصباح يوم الأحد في الرباط.

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٧.
(٢) الفتح الرباني، ص١٤٥.

بدأت دروسه بالرجلين والثلاثة، ثم تكاثر الناس وتزاحموا في درسه، حتى اضطره ذلك إلى الخروج من المدرسة، وإلقاء درسه بالرباط بجانب سور بغداد.

وتقول بعض الروايات: إن مجلسه كان يضم سبعين ألفاً، وهذه الرواية وإن كانت لا تخلو من مبالغة فإنها تدل على كثرة القاصدين لدرس الشيخ.

وقد يسأل سائل: لماذا اتجه الشيخ إلى الوعظ، حتى اشتهر به وعرف؟

إن دراسة عصر الشيخ يمكن أن تعطي الجواب على هذا السؤال..

فقد كثر في زمنه الفقهاء والعلماء الذين يلقون دروسهم المتخصصة على طلابها، ولم تكن بغداد يومئذ ينقصها هذا الصنف..

وقد كثر الفساد في المجتمع واتسعت دائرته، فكان عامة الناس بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويردهم إلى دائرة الشريعة، ويعلمهم ما هم بحاجة إليه.. وهي القضية التي تنبّه إليها الشيخ، ورآها وقد احتلت الدرجة الأولى في سلم الأولويات فكانت دروس وعظه تلبية لحاجة ملحة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في وصف الشيخ ووصف مجلسه:

«كان صاحب نفس زكية، وهمة قوية مؤثرة، وعلى جانب عظيم من الزهد والقناعة والعزوف عن الشهوات.

يجد ضعاف الإيمان في مجالسه قوة اليقين وحرارة الإيمان.

ويجد أهل الشك والارتياب السكينة والإذعان.

ويجد أصحاب النفوس القلقة والقلوب الجريحة المنكسرة: الهدوء والعزاء والسلوان.

ويجد هواة الحقائق والمعارف وأصحاب الدراسات: العلوم الدقيقة، والنكت اللطيفة.

ويجد أصحاب البطالة والعطلة، وأصحاب القلوب الخامدة ما يملؤهم حماسة وإيماناً، وما يحفزهم إلى العمل والجهاد.

ويجد عباد الملذات والشهوات، والمترفون في الحياة، الذين تجرؤوا على المعاصي والمحارم: ما يبعث فيهم الإقلاع والندامة والتوبة والإنابة.

وبالجملة: يجد كل أحد في مجالسه: غناءه ودواءه وغذاءه وشفاءه، ويقف كمنارة عالية من الإيمان والعلم في بحر الظلمات والجاهلية يأوي إليها الغرقى ويهتدي

بها الحائرون...»[1].

هذا النوع من الدروس، الذي يلبي حاجة كل طالب، هو ما يفسر لنا كثرة القاصدين له حتى بلغ عشرات الآلاف.

على أن الشيخ ـ مع ذلك ـ لم يترك دروس العلم في مدرسته كما رأينا، ولكنها كانت ممزوجة بالتربية الروحية والتطبيق العملي للمعلومات.

وقد آتت هذه التربية ثمارها فكان لتلاميذ الشيخ أثرهم الكبير في الحياة الاجتماعية في شتى أنحاء العالم الإسلامي[2].

آثار الشيخ ومؤلفاته:

لم يكن وقت الشيخ المليء بالتعليم والوعظ والإرشاد ليسمح له بالكتابة والتأليف؛ بل ربما لم يكن حريصاً على ذلك، فالمؤلفات الإسلامية في كل فن تستعصي على الإحصاء..

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، لأبي الحسن الندوي، ص٢٥١.

(٢) انظر في ذلك ـ إن رغبت ـ كتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» للدكتور ماجد عرسان كيلاني، فهو من الكتب القيمة التي بُذِلَ فيها جهد مشكور.

فلم تكن المكتبة بحاجة إلى كتاب يضاف إليها، ولكن المجتمع الإسلامي كان بحاجة إلى داعية مصلح، يقوِّم ما أصابه من خلل واعوجاج.

وهذا ما تنبّه إليه الشيخ، وهو ما يفسّر قلَّة ما كتبه.

وقد نُسبت إليه كتب وأوراد، والمتفق على صحة نسبته إليه منها ثلاثة هي: «الغنية»، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب».

١ ـ أما كتاب «الغنية لطالبي طريق الحق» فهو كتاب يذكِّرنا بكتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، ولا شك بأن الشيخ كان متأثراً به موضوعاً وأسلوباً، حيث جمع فيه بين الفقه والأخلاق وقواعد السلوك.

فقد تحدث أولاً عن العبادات، ثم فصّل القول في ذكر الآداب الإسلامية، ثم تحدث عن آداب الدعاء وفضائل الأيام والشهور، ثم حثّ على النوافل ثم بيَّنَ آداب المريدين والمجاهدين، والتوكل وحُسْن الخلق.

٢ ـ وأما كتاب «الفتح الرباني والفيض الرحماني» فهو عبارة عن دروس في الوعظ كان يلقيها الشيخ، فجمعت كل مجلس على انفراد، حيث بلغت (٦٢) مجلساً، كان المجلس الأول منها في ٣ شوال سنة (٥٤٥هـ) والمجلس الأخير في يوم الجمعة سلخ رجب

سنة (٥٤٦هـ) وفي آخر الكتاب قرابة (٩٠ صفحة) جاءت على نمط ما جاء في تلك المجالس وبعضها أجوبة على أسئلة.

٣ ـ وأما كتاب «فتوح الغيب» فهو يتألف من (٧٨) مقالة في السلوك والأخلاق وغير ذلك، وهو شبيه في موضوعاته وأسلوبه بكتاب «الفتح الرباني». ويقع في (٢١٢) صفحة، وينتهي الكتاب عند الصفحة (١٢٩). وأُلحقت به بعد ذلك قصائد نسبت إلى الشيخ فيها انحراف وضلال وشرك بعض الأحيان، ولا يشك أحد في عدم صحة نسبتها إلى الشيخ، وذلك لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أثنى على الكتاب، ولم يكن ليفعل وفيه هذه القصائد، الأمر الذي يؤكد عدم وجودها في الأصل كما يقول الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني في كتابه «الشيخ عبد القادر الجيلاني».

وفاة الشيخ:

توفي الشيخ بعد مرض قصير، لم يطل، حتى قيل إنه دام يوماً وليلة، وكان ذلك ليلة السبت عاشر ربيع الآخر، سنة (٥٦١هـ).

وكانت مدة حياته تسعين عاماً، قضاها بالعمل الخيِّرِ وتعليمِ الناس وإرشادهم. . رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقبل وفاته سأله ابنه عبد الوهاب الوصية، فقال له:

«عليك بتقوى الله عزّ وجلّ وطاعته، ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترج أحداً سوى الله، وَكِلِ الحوائج كلها إلى الله عزّ وجلّ، واطلبها جميعها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عزّ وجلّ، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه. وعليك بالتوحيد، التوحيد، التوحيد، جماع الكل التوحيد».

وقال ولده موسى: لما أتته سكرة الموت كان يقول:

«استعنت بلا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت ولا يخشى الموت، سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله».. رحمه الله تعالى..[1].

(١) الفتح الرباني، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤.

شهادات

ولإعطاء تصور أفضل عن حياة هذا العَلَم، يحسن بنا أن ننقل بعض ما قيل في حقه من قبل العلماء الذين عايشوه، أو الذين جاؤوا من بعده:

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي، صاحب «المغني»:

«دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة، فإذا الشيخ عبد القادر مما انتهت إليه الرياسة بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاءً، كان يكفي طالب العلم عن قصد غيره، من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين وسعة الصدر.. وما رأيت أحداً يعظّمه الناس من أجل الدين أكثر منه».

وقال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني:

«كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها، ويشغل الناس فيها، مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة..».

وقال الإمام ابن رجب:

«شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ.. محيي الدين، ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنّة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء فمن دونهم».

وقال الحافظ ابن كثير:

«.. كان له اليد الطولى في الحديث والفقه والوعظ وعلوم الحقائق، وكان له سمت حسن، وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار قدس الله سره»[1].

وقال الحافظ الذهبي:

«الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام علم الأولياء...»[2].

وأما الإمام ابن تيمية:

فإنه يذكره بكثير من الاحترام والتقدير، فتارة يصفه

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني، للدكتور عبد الرزاق الكيلاني، ص٢٩٥، نقلاً عن «قلائد الجواهر» وغيره.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩.

بأنه من الشيوخ الكبار فيقول: «وكلام الشيوخ الكبار كالشيخ عبد القادر وغيره..»، وتارة يقول: «الشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم..»[1].

وقال:

«وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون: مثل الجنيد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله، فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي..»[2].

ويلاحظ على الإمام ابن تيمية أنه إذا مر ذكر الشيخ، أتبع ذلك بقوله: «قدس الله روحه»[3].

وقال الأستاذ أبو الحسن الندوي:

«لقد ظهر الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، وتسلَّم الزعامة الدينية، وعاش نحو قرن فرداً فريداً في الدعوة إلى الله تعالى، والتفَّ حوله العالم الإسلامي، وأثر فيه تأثيراً لم يؤثر مثله عالم أو مصلح في مدة طويلة»[4].

---

(١) الفتاوى ١٠/ ٤٦٣، ٤٨٨.

(٢) الفتاوى ٨/ ٣٦٩.

(٣) الفتاوى ٨/ ٣٠٦، ١٠/ ٤٥٨، ١٠/ ٤٧٠.

(٤) رجال الفكر والدعوة، ص٢٥٢.

مَحَاوِر الوَعْظ عِندَ الشَيخ عَبد القَادِر

كانت دروس وعظ الشيخ مثمرة ناجحة، فقد تاب فيها كثيرون، وأسلم فيها كثيرون.

وهذا النجاح ـ فيما أرى ـ يرجع إلى عوامل كثيرة في مقدمتها أمران:

الأول: معرفة الشيخ بواقعه الذي يعالجه.

والثاني: أسلوب الخطاب الذي استعمله.

أما الأول: فإنا نتعرف عليه من الأوصاف الدقيقة التي تبين حال المجتمع الذي يعالج الشيخ أمراضه ومن أمثلة ذلك:

ـ «قد عم الرياء والنفاق والظلم، وكثرة الشبهة والحرام، قد كثر كفران نعم الحق عزّ وجلّ، والاستعانة بها على الفسق والفجور».

ـ «لقد كثر العاجز في بيته، المتقي في دكانه، الزنديق في شرابه، الصدِّيق على كرسيه»[1].

---

(١) الفتح الرباني، ص١٧.

إنّ تشخيص الداء أمر مهم لوصف الدواء.

وأما الثاني: وهو أسلوب الخطاب، فإن الشيخ بالرغم من علمه بدقائق واقع الناس، فإنه لم يكن يواجههم بما ينفرهم، وإنما كان خطابه عاماً، لا يخاطب شخصاً بعينه ولا فئة بعينها، متبعاً في ذلك السنة في قوله ﷺ: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا..).

فقد كان يخاطب الناس فيقول: يا قوم، يا غلام، يا مسكين.

ويعلم أن مواجهة كل فرد بانحرافه يؤدي إلى نفرة الناس، ويقرر ذلك بقوله: «لو كشفت بعض ما عندي كان ذلك سبب الفراق بيني وبينكم»[1].

ولا يكتفي بهذا بل هو يضحك في وجه المذنبين، حتى لا ينفرهم، وحتى يتيح لهم الجلوس إليه، ويقول في ذلك: «لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف.. العارف يجتهد في تخليص العاصي من يد الشيطان والنفس والهوى»[2].

---

(١) الفتح الرباني، ص١٧.

(٢) الفتح الرباني، ص٢٢٤.

إنه الرجل الخبير بأمراض المجتمع، الخبير بأمراض النفس، العليم بطرق إنقاذ الغرقى.

فلنتعرف على المحاور التي سلكها في علاج تلك الأمراض..

ومن أهم تلك المحاور:

١ ـ تصحيح العقيدة:

إنّ قضية «التوحيد» هي القضية الأساسية، التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية. وحتى يتم التوحيد لا بد من التخلص من الشرك.

والشرك ـ كما يقول الشيخ ـ شركان:

شرك في الظاهر: وهو عبادة الأصنام.

وشرك في الباطن: وهو الاتكال على الخلق، ورؤيتهم في الضر والنفع[١].

والمسلم لا يكون موحداً حتى يتخلص من الشرك الظاهر، ولكنه قد لا يحسن التخلص من الشرك الباطن، ولذا انصبّ اهتمام الشيخ على بيان ذلك، وكثرتْ معالجته لهذا الموضوع وبيان أخطاره. ومن ذلك قوله:

---

(١) الفتح الرباني، ص١٤٤.

«يا غلام، ما أنت على شيء، الإسلام ما صح لك، تقول: «لا إلٰه إلا الله» وتكذب، في قلبك جماعة من الآلهة: خوفك من سلطانك، ووالي محلتك، آلهة، اعتمادك على كسبك.. وقوتك وبطشك آلهة، رؤيتك للضر والنفع والعطاء والمنع من الخلق آلهة»(١).

وقال:

«كيف تقول: «لا إلٰه إلا الله» وفي قلبك كم إلٰه؟ كل شيء تعتمد عليه وتثق به دون الله فهو صنمك، لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب»(٢).

وقال:

«دع عنك الشرك بالخلق، ووحد الحق عزّ وجلّ، هو خالق الأشياء جميعها، يا طالب الأشياء من غيره ما أنت عاقل..»(٣).

وهكذا يوضح فكرة الشرك الباطن، حتى يبتعد عنها المسلم، ويكون موحداً ظاهراً وباطناً.

٢ ـ التزام الكتاب والسنّة:

قامت الشريعة الإسلامية على الكتاب والسنّة، ولا بد

---

(١) الفتح الرباني، ص٧٤.
(٢) الفتح الرباني، ص١٥٥.
(٣) الفتح الرباني، ص١٢.

أن يكون عمل المسلم منضبطاً معهما حتى يكون مقبولاً.

ولهذا كان تأكيد الشيخ على تحكيم هذا الضابط والالتزام به كبيراً، وقلَّ مجلس من مجالسه لم يذكر فيه هذا الأمر ويذكر به.

ومن أقواله في ذلك:

«كل من لم يتبع النبي ﷺ ويأخذ شريعته في يد والكتاب المنزل عليه في اليد الأخرى، ولا يصل في طريقه إلى الله عزّ وجلّ يَهلك ويُهلك، ويَضل ويُضل، هما دليلان إلى الحق عزّ وجلّ، القرآن دليلك إلى الحق عزّ وجلّ، والسنّة دليلك إلى الرسول ﷺ»[1].

ولما كان بعض المتصوفة المنحرفين يدَّعون العمل بالحقيقة والقول بها بعيداً عن الالتزام بالشرع، قرعهم بقوله:

«كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طر إلى الحق عزّ وجلّ بجناحي الكتاب والسنّة»[2].

وكثيراً ما كرر الجملة الأولى من هذه الفقرة بياناً

(١) الفتح الرباني، ص١١٧.
(٢) الفتح الرباني، ص١٧٩.

لانحراف الذين يبتعدون عن الشريعة أياً كان شأنهم.

ومن أقواله: «من لم يكن الشرع رفيقه في جميع أحواله، فهو هالك مع الهالكين»[1].

ومن لزم السنّة فطريقه الاتباع ولذلك يقول:

«عليكم بالاتباع من غير ابتداع، عليكم بمذهب السلف الصالح، امشوا في الجادة المستقيمة، لا تشبيه ولا تعطيل، بل اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ من غير تكلف ولا تطبع ولا تشدد... يسعكم ما وسع من كان قبلكم»[2].

٣ ـ نقد العلماء:

يوجد في كل زمن من العلماء من لا يتفق سلوكه مع العلم الذي يحمله، ويرى الشيخ في هذا النمط من العلماء خطراً داهماً على عامة الناس، الذين ينظرون إلى سلوك هؤلاء العلماء قبل النظر والاستماع إلى أقوالهم.

ولهذا اشتدت وطأة هجوم الشيخ عليهم، وكانت لغته قاسية معهم، لأنهم يقولون ما لا يفعلون. ومن أقواله في ذلك:

---

(١) الفتح الرباني، ص١٦١.

(٢) الفتح الرباني، ص٤٧.

«يا أعداء الله ورسوله، يا قاطعي عباد الله عزّ وجلّ، أنتم في ظلم ظاهر ونفاق ظاهر، إلى متى هذا النفاق يا علماء يا زهاد؟ كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها..»[1].

ويخاطب الناس ويطلب منهم ألا يستمعوا من هؤلاء العلماء فيقول:

«لا تسمعوا من هؤلاء الذين يفرِّحون نفوسكم، يذلون للملوك، ويصيرون بين أيديهم كالذر، لا يأمرونهم بأمره، ولا ينهونهم عن نهيه، وإن فعلوا ذلك فعلوه نفاقاً وتكلفاً، طهر الله منهم الأرض ومن كل منافق، أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه»[2].

ويطلب من طلبة العلم عدم الاغترار بهؤلاء العلماء فيقول:

«يا غلام، لا تغتر بهؤلاء العلماء الجهال بالله عزّ وجلّ، كل علمهم عليهم لا لهم، هم علماء بحكم الله عزّ وجلّ، جهال بالله عزّ وجلّ، يأمرون الناس بأمر ولا يمتثلونه، وينهونهم عن شيء ولا ينتهون

---

(١) الفتح الرباني، ص٢١٦.

(٢) الفتح الرباني، ص٣٠٦.

عنه، يدعون إلى الحق عزّ وجلّ وهم يفرون منه..»[1].

إنه لا بد للعلم من العمل، ولذلك يوجه النصيحة في هذا الشأن فيقول:

«يا غلام، علمك يناديك: أنا حجة عليك إذ لم تعمل بي، وحجة لك إن عملت بي؛ اسمعه بأذن قلبك وسرك، واقبل قوله فإنك تنتفع به؛ العمل بالعلم يقربك إلى العالم المنزل للعلم، لا تصح متابعتك للرسول ﷺ حتى تعمل بما قال»[2].

٤ ـ إصلاح التصوف والزهد:

يرى الشيخ أن مفهوم التصوف قد انحرف عن معناه، وأصبحت المظاهر تشغل أصحابه بعد أن كان هدفه صفاء الباطن. ولذا فهو يتوجه إليهم بالنصيحة لتصحيح المسار فيقول:

«يا من قد لبس الصوف، أَلبسِ الصوف لسرِّك ثم لقلبك، ثم لنفسك ثم لبدنك. بدايةُ الزهد من هناك، لا من الظاهر إلى الباطن، إذا صفا السر تعدى الصفاء إلى

---

(١) الفتح الرباني، ص٥٧.

(٢) الفتح الرباني، ص٢٣.

القلب والنفس والجوارح، والمأكول والملبوس، وتعدى إلى جميع أحوالك، أول ما يعمر داخل الدار، فإذا كملت عمارتها، اخرج إلى عمارة الباب، لا كان ظاهر بلا باطن..»[1].

وقال:

«يا غلام، صفِّ قلبك بأكل الحلال وقد عرفت ربك عزّ وجلّ، صفِّ لقمتك وخرقتك وقلبك وقد صرت صافياً، التصوف مشتق من الصفاء، يا من لبس الصوف، الصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عزّ وجلّ، وهذا شيء لا يجيء بتغيّر الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عزّ وجلّ، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب..»[2].

ويتجه إلى الذين ادعوا الزهد وتركوا العمل فيقول لهم:

---

(١) الفتح الرباني، ص١١١.

(٢) الفتح الرباني، ص١١٥.

«يا طالب الدنيا بنفاقه، افتح يدك، فما ترى فيها شيئاً، ويلك، زهدت في الكسب وقعدت تأكل أموال الناس بدِينِك، الكسب صنعة الأنبياء جميعهم، ما منهم إلا من كان له صنعة..»[1].

ويلوم الزهاد على جهلهم ويطلب منهم أن يتعلموا فيقول:

«يا من اعتزل بزهده مع جهله، تقدم واسمع ما أقول: يا زهاد الأرض، تقدموا، خرِّبوا صوامعكم واقتربوا مني، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل.. تقدموا والقطوا ثمار الحكم رحمكم الله..»[2].

إنها صرخات في سبيل إصلاح مدَّعي التصوف والزهد.

٥ ـ تصحيح مفهوم التوكل:

ظن بعضهم أن التوكل ينافي العمل، وقد عمل الشيخ في مجالسه على تصحيح هذا المفهوم وبيان أن التوكل لا ينافي العمل، ومن قوله في ذلك:

«اشتر [المر] والزنبيل واقعد على باب العمل، فإن

(١) الفتح الرباني، ص١٨٧.

(٢) الفتح الرباني، ص٩٥.

قُدِّر عملك فسوف تعمل، أعطِ السبب حقه، وتوكل واقعد على باب العمل...»[1].

وقال:

«خذ المر والزنبيل واقعد على باب العمل، حتى إذا طلبت تكون قريباً من المستعمل، ولا تقعد على فراشك وتحت لحافك، من وراء أغلاق ثم تطلب العمل..»[2].

ويبين أن ترك الكسب والاعتماد على ما في أيدي الناس عقوبة من الله تعالى فيقول:

«الأنبياء جمعوا بين الكسب والتوكل.. تَرْكُ الكسب والكدية من الناس، عقوبة من الله عزّ وجلّ للعبد»[3].

٦ ـ إنصاف الفقراء:

كان أمر إنصاف الفقراء واحداً من المحاور التي أخذت نصيبها من مجالس الشيخ، فهو يرى أن الفقير أخو الغني بالأخوة التي عقدها الله بين المؤمنين،

---

(١) الفتح الرباني، ص٢١١.

(٢) الفتح الرباني، ص٢٢٨.

(٣) الفتح الرباني، ص١٢٦.

والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن هذا المنطلق يخاطب الغني فيقول:

«إذا أحببت لنفسك أطايب الأطعمة، وأحسن الكسوة، وأطيب المنازل.. وأحببت لأخيك المسلم بالضد من ذلك فقد كذبت في دعواك كمال الإيمان».

ثم يقول: «يا قليل التدبير، لك جار فقير، ولك أهل فقراء، ولك مال عليه زكاة، ومعك قدر يزيد على قدر حاجتك إليه، فمنعك من العطاء لهم، هو الرضا بما هم فيه من الفقر..»[1].

ويرى الشيخ أن السائل هدية من الله عزّ وجلّ، فكيف يرد القادر على العطاء هذه الهدية، فيقول:

«واسوا الفقراء بشيء من أموالكم، لا تردوا سائلاً وأنتم تقدرون أن تعطوه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً، وافقوا الحق عزّ وجلّ في حبه العطاء، واشكروه كيف أهّلكم وأقدركم على العطاء، ويحك، إذا كان السائل هدية الله عزّ وجلّ، وأنت قادر على إعطائه، فكيف ترد الهدية على مهديها؟!»[2].

بهذه المعاني الرفيعة كان يذكِّر الأغنياء بواجبهم..

---

(١) الفتح الرباني، ص٨٥.

(٢) الفتح الرباني، ص١٨.

٧ ـ الإخلاص:

إن الإخلاص هو المدار الذي يتركز عليه قبول العمل. وقَلَّ مجلس للشيخ إلا وفيه نصيب للحديث عن هذا الموضوع.

ومن أقواله في ذلك:

«عليك بالإخلاص في الأعمال، ارفع بصرك عن عملك وطلب العوض عليه، اعمل لوجه الله عزّ وجلّ، كن من الذين يريدون وجهه»[١].

والنية هي المؤشر على الإخلاص، ولهذا ينصح الشيخ فيقول:

«يا غلام، إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة، وإذا سكت، فاسكت بنية صالحة، كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له»[٢].

ويرشد إلى علامة الإخلاص فيقول:

«علامة إخلاصك: أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق ولا إلى ذمهم»[٣].

والإخلاص لا يكون مع العجب؛ ومن قوله في ذلك

---

(١) الفتح الرباني، ص٨٢.

(٢) الفتح الرباني، ص١١٩.

(٣) الفتح الرباني، ص١٩٠.

«لا تعجبن بشيء من أعمالك، فإن العجب يفسد العمل ويهلكه»[1].

وقال:

«يا معجبين بأعمالكم ما أجهلكم! لولا توفيقه ما صليتم ولا صمتم ولا صبرتم»[2].

٨ ـ ذم الدنيا:

يلاحظ عند النظر في مواعظ الشيخ، كثرة «ذم الدنيا». ولا بد من وقفة عند هذا الأمر، لتحديد المقصود بالدنيا التي يذمها.

والشيخ رحمه الله لم يترك لنا ذلك، بل بيَّن مراده بكلام واضح لا لبس فيه، حتى لا يكون ظاهر كلامه حجة للكسالى والبطالين والخاملين فقال:

«ليس من الدنيا ما لا بد منه. ليس من الدنيا: بيت يكنك، ولباس يسترك، وخبز يشبعك، وزوجة تسكن إليها.

حياة الدنيا: نفسك وهواك وطبعك. هذه الدنيا.

الحياة الدنيا: الإقبال على الخلق والإدبار عن الحق»[3].

---

(١) الفتح الرباني، ص٢٠١.

(٢) الفتح الرباني، ص١٧٩.

(٣) الفتح الرباني، ص٣٤٤.

إنه كلام واضح لا لبس فيه، لا بد للإنسان من السعي في تأمين ما يحتاج لنفسه ولمن يعول، من طعام وشراب ولباس ومسكن، فهي حاجات ضرورية لا تقوم الحياة إلا بها، وهي لا تدخل في ذم الدنيا عندما يذمها.

وإنما مراده بالدنيا، أمران:

الأول مادي: وهو اتباع الشهوات والسعي وراء الملذات ومراد النفس والشيطان.

والثاني عقدي روحي: وهو صرف الهمة والقصد إلى الخلق والإقبال عليهم، وأن يكون مراده من أعماله أن يراه الناس.. فهذا من الدنيا..

وهذا أمر ينبغي أنْ يكون واضحاً لقارئ مواعظ الشيخ، حتى لا يكون ذمه للدنيا باعثاً على ترك العمل وترك القيام بالمسؤوليات المناطة بالإنسان تجاه نفسه وأسرته.. وهذا ما تؤكده أوامره ومواعظه المتكررة بالسعي وحمل أدوات العمل، والذهاب إلى حيث يجتمع العمال، ويسعى إليهم من يستأجرهم.



نكتفي بهذا القدر من ذكر بعض المحاور في مواعظ الشيخ، وهناك محاور أخرى سيجدها القارئ عند وقوفه على هذه المواعظ.

مَواعِظ
الشيخ عبد القَادِر الجيلاني

هذه المواعظ

ترك الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاثة كتب، منها اثنان فيهما نماذج من مواعظه هما: الفتح الرباني، وفتوح الغيب.

أما الكتاب الأول: ففيه تسجيل لبعض مجالسه الوعظية، وهو يعطينا تصويراً وافياً لما كانت عليه هذه المجالس، ومن تناول الشيخ فيها لموضوعات متعددة مذكراً وناصحاً.

والمواعظ التي بين أيدينا هي فقرات منتقاة من هذه المجالس، تعالج الواحدة منها موضوعاً واحداً، أو تعرض فكرة واحدة، على نسق الطريقة المتبعة في هذه السلسلة.

وأما الكتاب الثاني: ففيه مقالات، شبيهة من حيث الموضوعات والأسلوب بالمجالس السابقة، وإن كان كل مقال منها ـ في الغالب ـ يناقش موضوعاً واحداً.

وقد تم ـ كذلك ـ اختيار فقرات من هذه المقالات،

لتشكل الباقة الثانية من هذه المواعظ.

فهما باقتان: الأولى من الكتاب الأول، والثانية من الثاني.

وقد وضعت مرجع كل موعظة ـ من حيث بيان الصفحة ـ في نهايتها، اختصاراً لكثرة الحواشي.

أما الكتاب الأول: فهو من نشر «دار الكتاب العربي» في بيروت، عام ١٤٠٠هـ.

وأما الكتاب الثاني، فهو من نشر «دار الألباب» بدمشق.

مَكَانةُ المَــوَاعِـظ

داومْ على سماع المواعظ، فإن القلب إذا غاب عنها عمي.



لا تستهينوا بكلمات الحكماء العلماء، فإنها ثمرة وحي الله عزّ وجلّ.

الشيخ الجيلاني

الباقة الأولى

من كتاب

الفتح الربّاني والفيض الرحماني

التسليم لله تعالى

قال أبو محمد:

الاعتراض على الحق عزّ وجلّ عند نزول الأقدار، موت الدين، موت التوحيد، موت التوكل والإخلاص.

والقلب المؤمن لا يعرف «لِمَ؟» و«كيف؟» لا يعرف.

[٩ ـ ١٠]

صلاح القلب

قال أبو محمد:

أصلحوا قلوبكم، فإنها إذا صلحت صلح لكم سائر أحوالكم، ولهذا قال النبي ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[١].

صلاح القلب بالتقوى، والتوكل على الله عزّ وجلّ، والتوحيد له، والإخلاص في الأعمال، وفساده بعدم ذلك.

[١٠ ـ ٢١]

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

همّ النفس وهم القلب

قال أبو محمد:

لا يكن همّك ما تأكل وما تشرب، وما تلبس، وما تسكن وما تجمع..

كل هذا همُّ النفس والطبع.

فأين همُّ القلب والسرِّ؟ وهو طلب الحق عزّ وجلّ.

همُّك ما أهمَّك!

فليكن همُّك ربك عزّ وجلّ وما عنده.

الدنيا لها بدل، وهو الآخرة.

والخلق لهم بدل، وهو الخالق عزّ وجلّ.

كلما تركت شيئاً من هذا العاجل، أحدث عوضه وخيراً منه في الآجل.

قدِّر: أن قد بقي من عمرك هذا اليوم فحسب.

تهيأ للآخرة، تهيأ لمجيء ملك الموت. [١٥ ـ ١٦]

تحقيق «لا إله إلا الله»

قال أبو محمد:

لا تفرح بجميع ما أنت فيه، فهو شيء زائل عن قريب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

ما خلقتَ للبقاء في الدنيا والتمتع فيها، فغيِّرْ ما أنت فيه من مكاره الحق عزّ وجلّ.

قد قنعتَ من طاعة الله عزّ وجلّ بقول: (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله).

هذا لا ينفعك حتى تضيف إليه شيئاً آخر.

الإيمان: قول وعمل.

لا يقبل منك، ولا ينفعك إذا أتيت بالمعاصي والزلات، ومخالفة الحق عزّ وجلّ، وأصررت على ذلك، وتركت الصلاة والصوم والصدقة وأفعال الخير.

أي شيء ينفعك الشهادتان!؟

إذا قلت: (لا إلٰه إلا الله) فقد ادعيت.

يقال: أيها القائل، ألك بينة؟

ما البينة؟

امتثال الأمر، والانتهاء عن النهي، والصبر على الآفات، والتسليم إلى القدر.

هذه بينة هذه الدعوى.

وإذا عملت هذه الأعمال، ما تقبل منك إلا بالإخلاص للحق عزّ وجلّ.

ولا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة. [١٧ ـ ١٨]

علامة الإخلاص

قال أبو محمد:

علامة إخلاصك: أنك لا تلتفت إلى حمد الخلق، ولا إلى ذمهم، ولا تطمع فيما في أيديهم. [١٩٠]

مواساة الفقراء

قال أبو محمد:

واسوا الفقراء بشيء من أموالكم، لا تردوا سائلاً وأنتم تقدرون أن تعطوه شيئاً، قليلاً كان أو كثيراً.

وافقوا الحق عزّ وجلّ في حبه العطاء.

واشكروه كيف أهَّلكم وأقدَرَكم على العطاء.

ويحك! إذا كان السائل هدية الله عزّ وجلّ[(١)]، وأنت قادر على إعطائه فكيف ترد الهدية على مهديها.

عندي تستمع وتبكي.

وإذا جاء الفقير، يقسو قلبك.

فدلَّ على أن سماعك وبكاءك ما كان خالصاً لله عزّ وجلّ. [١٨]

---

(١) كان زين العابدين ﷺ إذا جاءه السائل يقول: أهلاً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

الطريق الموصل

قال أبو محمد:

ذلَّ لله عزّ وجلّ.

وأنزل به حوائجك.

ولا تعدَّ لنفسك عملاً.

والْقَهُ على قدم الإفلاس.

أغلق أبواب الخلق، وافتح الباب بينك وبينه، واعترف بذنوبك، واعتذر إليه من تقصيرك. وتيقن أن لا ضارَّ ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلا هو.

فحينئذ يزول عمىٰ عينِ قلبك، ويحركُ البصر البصيرة. [١٨ ـ ١٩]

علاج العجب

قال أبو محمد:

لا تعجبن بشيء من أعمالك.

فإن العجب يفسد العمل ويهلكه.

من رأى توفيق الله عزّ وجلّ له، انتفى عنه العجب بشيء من الأعمال. [٢٠١]

قرابة المودة

قال أبو محمد:

اهجر أقران السوء، واقطع المودة بينك وبينهم، وواصلها بينك وبين الصالحين.

اهجر القريب منك إذا كان من أقران السوء، وواصل البعيد منك إذا كان من أقران الخير.

كل من وادته صار بينك وبينه قرابة.

فانظر لمن توادد. [٢٥]

شمس التوحيد

قال أبو محمد:

لا تكن في أخذك للدنيا كحاطب ليل، ما يدري ما يقع بيده.

إني أراك في تصرفاتك كحاطب ليل، في ليلة ظلماء، لا قمر فيها، ولا ضوء معه، وهو في رملة كثيرة الدغل[١] والحشرات القاتلة، فيوشك أن يقتلك شيء منها.

---

(١) الدغل: الفساد، وأصله: الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه.

كن في تصرفاتك مع شمس التوحيد والشرع والتقوى.

فإن هذه الشمس تمنعك عن الوقوع في شبكة الهوى والنفس والشيطان والشرك بالخلق. [٢٧]

نفاق

قال أبو محمد:

إذا كان التوحيد بباب الدار، والشرك داخل الدار، فهو النفاق بعينه.

ويحك! أنت لسانك يتقي، وقلبك يفجر.

لسانك يشكر، وقلبك يعترض.

ويحك! تدّعي أنك عبده، وتطيع سواه.

لو أنك عبده على الحقيقة، لعاديت فيه وواليت فيه.

[١١ ـ ١٢]

باب الحياة

قال أبو محمد:

انتهزوا واغتنموا باب الحياة ما دام مفتوحاً، عن قريب يغلق عنكم.

اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها.

اغتنموا باب التوبة، وادخلوا فيه ما دام مفتوحاً لكم.

اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم.

اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين، فهو مفتوح لكم. [٢٨]

فقه اللسان وعمل القلب

قال أبو محمد:

فقه اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوة.

السير سير القلب، والعمل عمل المعاني مع حفظ حدود الشرع بالجوارح، والتواضع لله عزّ وجلّ ولعباده.

من جعل لنفسه وزناً فلا وزن له.

من أظهر أعماله للخلق فلا عمل له.

الأعمال تكون في الخلوات، لا تظهرْ في الجلوات سوى الفرائض التي لا بد من إظهارها. [٤١]

خزائنه تعالى

قال أبو محمد:

دع عنك الشرك بالخلق، ووحِّد الحق عزّ وجلّ.

هو خالق الأشياء جميعها.

يا طالب الأشياء من غيره، ما أنت عاقل!!

هل شيء ليس هو في خزائن الله عزّ وجلّ.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]. [١٢]

بناء الباطن أولاً

قال أبو محمد:

المرائي ثوبه نظيف وقلبه نجس، يزهد في المباحات ويأكل الحرام الصريح، يأكل بدينه ولا يتورع جملة.

كل زهده وطاعته على ظاهره.

ظاهره عامر، وباطنه خراب.

ويلك! طاعة الله عزّ وجلّ بالقلب لا بالقالب.

أنت لسانك ورع، وقلبك فاجر.

لسانك يحمد الله عزّ وجلّ، وقلبك يعترض عليه.

ظاهرك مسلم، وباطنك كافر.

ظاهرك موحد، وباطنك مشرك.

زهدك على ظاهرك، دينك على ظاهرك، وباطنك

خراب، كبياض على بيت الماء[1]، وكقفل على مزبلة. إذا كنت هكذا خيم الشيطان على قلبك وجعله مسكناً له.

المؤمن يبتدئ بعمارة باطنه، ثم بعمارة ظاهره، كالذي يعمل داراً ينفق على الداخل منها مبالغ من المال، وبابها خراب، فإذا أكمل عمارتها بعد ذلك يعمل بابها.

هكذا البداية بالله عزّ وجلّ ورضاه، ثم الالتفات إلى الخلق بإذنه.

البداية بتحصيل الآخرة، ثم تتناول الأقسام[2] من الدنيا. [٤٤ ـ ٤٥]

كيف تتلقى العلم

قال أبو محمد:

السماع ـ عندي في الخير ـ أولاً بالسر، ثم بالقلب، ثم بالجوارح.

إذا دخلت عليَّ، فادخل وقد عزلت علمك وعملك، ولسانك ونسبك وحسبك، مع نسيان أهلك ومالك.

---

(١) بيت الماء: أي بيت الخلاء.

(٢) الأقسام: جمع قسم، وهو نصيبك وما قُدِّر لك.

قف بين يدي عريان القلب عما سوى الحق عزّ وجلّ، حتى يكسوه بقربه وفضله.

إذا فعلت هذا ـ عند دخولك ـ صرت كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً[1]. [١٨]

تكلف العبادة

قال أبو محمد:

التقي لا يتكلف عبادة الحق عزّ وجلّ، لأنها صارت طبعه، فهو يعبد الله بظاهره وباطنه من غير تكلف منه.

وأما المنافق، فهو في كل أحواله يتكلف، ولا سيما في عبادة الحق عزّ وجلّ. يتكلفها ظاهراً ويتركها باطناً، لا يقدر أن يدخل مداخل المتقين. [٤٧]

التزام طريق السلف

قال أبو محمد:

عليكم بالاتباع من غير ابتداع.

عليكم بمذهب السلف الصالح.

---

(١) أي تغدو بكرة وهي جياع، وتروح مساء وهي ممتلئة البطون.

امشوا في الجادة المستقيمة، لا تشبيه[1] ولا تعطيل[2]، بل اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ من غير تكلف ولا تشدد ولا تمشدق.

يسعكم ما وسع من كان قبلكم. [٤٧]

لماذا تحفظ؟

قال أبو محمد:

ويحك! تحفظ القرآن ولا تعمل به.

تحفظ سنة رسول الله ﷺ ولا تعمل بها.

فلأي شيء تفعل ذلك؟

تأمر الناس وأنت لا تفعل، وتنهاهم وأنت لا تنتهي، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ③﴾ [الصف]. [٤٨]

---

(١) لا تشبيه: أي لا يشبه الله تعالى بمخلوقاته قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

(٢) التعطيل: هو نفي الصفات عن الله تعالى، والمعطلة: هم الذين ينفون عنه سبحانه ما وصف به نفسه (انظر فتاوى ابن تيمية ٥/٢٧).

لك قلب واحد

قال أبو محمد:

إلى متى عمارة الدنيا وتخريب الآخرة؟

إنما لكل واحد منكم قلب واحد، فكيف يحب به الدنيا والآخرة؟

كيف يكون فيه الحق والخلق؟

كيف يحصل هذا في حالة واحدة، في قلب واحد؟

هذا كذب.

فكل إناء ينضح بما فيه، أعمالك دلائل على اعتقادك، ظاهرك دليل على باطنك. [٤٩]

التواضع للأكابر

قال أبو محمد:

إذا تواضعت للصالحين فقد تواضعت لله عزّ وجلّ.

فتواضع، فإن من تواضع رفعه الله عزّ وجلّ.

أحسن الأدب بين يدي من هو أكبر منك.

ليس المقصود كبر السن فحسب، بل حتى يضاف إلى كبر السن التقوى في امتثال الأمر والانتهاء عن النهي، وملازمة الكتاب والسنة.

وإلا فكم من شيخ لا يجوز احترامه ولا السلام عليه، وليس في رؤيته بركة.

الأكابر: المتقون الصالحون المتورعون العاملون بالعلم، المخلصون في العمل.

الأكابر: القلوب الصافية المعرضة عما سوى الله عزّ وجلّ.

الأكابر: القلوب العارفة بالله عزّ وجلّ، القريبة منه.

كلما كثر علم القلوب قربت من مولاها عزّ وجلّ. [٥٠]

نظرك إلى الناس

قال أبو محمد:

يا غلام، إن وجدت عندك تفرقة بين الغني والفقير عند إقبالهم عليك فلا فلاح لك.

أكرم الفقراء الصبَّر، وتَبَرَّك بهم وبلقائهم والجلوس معهم. [٦٩]

النصحية للقرآن

قال أبو محمد:

يا قوم! انصحوا القرآن بالعمل به، لا بالمجادلة فيه.

الاعتقاد كلمات يسيرة، والأعمال كثيرة.

عليكم بالإيمان به، صدقوا بقلوبكم، واعملوا بجوارحكم، اشتغلوا بما ينفعكم ولا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية. [٥٥]

العمل للدنيا

قال أبو محمد:

المؤمن يعمل لدنياه وآخرته، يعمل لدنياه بُلْغَتَه بقدر ما يحتاج إليه، يقنعه منها كزاد الراكب، لا يحصل منها الكثير.

الجاهل كل همه الدنيا.

والعارف كل همه الآخرة. [٦٣]

ما صح إسلامك

قال أبو محمد:

يا غلام! ما أنت على شيء، الإسلام ما صح لك.

الإسلام هو الأساس الذي ينبني على الشهادة، ما تمت لك.

تقول: «لا إلٰه لا الله» وتكذب.

في قلبك جماعة من الآلهة!!

خوفك من سلطانك، ووالي محلتك، آلهة.

اعتمادك على كسبك وربحك وحولك وقوتك وسمعك وبصرك وبطشك آلهة.

رؤيتك للضر والنفع والعطاء والمنع من الخلق آلهة.

كثير من الخلق متكلمون على هذه الأشياء بقلوبهم، ويظهرون أنهم متكلون على الحق عزّ وجلّ، قد صار ذكرهم للحق عادة بألسنتهم لا بقلوبهم.. غداً تبين الفضائح وتظهر المخبآت. [٧٤]

وويل للعالم

قال أبو محمد:

ويل واحد للجاهل، وكيف لم يعلم؟

وويل لهذا العالم سبع مرات، لأنه علم، وما عمل، ارتفعت عنه بركة العلم، وبقيت عليه حجته.

تعلم، ثم اعمل.

فقد مثل الله عزّ وجلّ العالِم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

الأسفار هي كتب العلم.

هل ينتفع الحمار بكتب العلم؟

ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب.

من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربه عزّ وجلّ، وطواعيته له.

يا مدعي العلم! أين بكاؤك من خوف الله عزّ وجلّ؟

أين حذرك وخوفك؟

أين اعترافك بذنوبك؟

أين مواصلتك للضياء بالظلام في طاعة الله عزّ وجلّ؟

أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعداوتها فيه؟

أنت همتك القميص والعمامة والأكل والنكاح، والدور والدكاكين والقعود مع الخلق والأنس بهم.

نحِّ همتك عن هذه الأشياء كلها، فإن كان لك فيها قسم، فإنه يجيئك في وقته وقلبك مستريح من تعب الانتظار. فما لك وهذا التعب في شيء مفروغ منه.

[٦٦ ـ ٦٧]

لا تغتر بالعارية

قال أبو محمد:

ويحك! تعمل عمل أهل النار، وترجو الجنان، فأنت طامع في غير موضع الطمع.

لا تغتر بالعارية وتظنها لك، عن قريب تؤخذ منك.

الحق عزّ وجلّ قد أعارك الحياة حتى تطيعه فيها، حسبتها لك وعملت فيها ما أردت.

وكذلك العافية عارية عندك.

وكذلك الغنى عارية عندك.

وكذلك الأمن والجاه وجميع ما عندك من النعم عارية عندك.

لا تفرط في هذه العواري، فإنك تُطالَب بها وتُسأَل عنها وعن كل شيء منها.

جميع ما عندكم من النعم، من الله عزّ وجلّ، فاستعينوا بها على الطاعة. [٧٧ ـ ٧٨]

لا تغتر بطاعتك

قال أبو محمد:

يا غلام! لا تغتر بطاعتك وتعجب بها، واسأل الحق سبحانه وتعالى قبولها.

واحذر وخف أن ينقلك إلى غيرها.

من عرف الله عزّ وجلّ لا يقف مع شيء، ولا يغتر بشيء، لا يأمن حتى يخرج من الدنيا على سلامة دينه وحفظ ما بينه وبين الله عزّ وجلّ.

يا غلام! لا تغتر بعمل، فإن الأعمال بخواتمها. عليك بسؤال الحق عزّ وجلّ أن يصلح خاتمتك ويقبضك على أحب الأعمال إليه. [٧٩، ٨٢]

جهادان

قال أبو محمد:

قد أخبرك الله عزّ وجلّ بجهادين: ظاهر وباطن.

فالباطن:

جهاد النفس والهوى والطبع والشيطان.

والتوبة عن المعاصي والزلات، والثبات عليها.

وترك الشهوات المحرمات.

والظاهر:

جهاد الكفار المعاندين له، ولرسوله ﷺ، ومقاساة سيوفهم ورماحهم وسهامهم، يَقتلون ويُقتلون.

فالجهاد الباطن أصعب من الجهاد الظاهر، وهو قطع مألوفات النفس من المحرمات وهجرانها، وامتثال أوامر الشرع والانتهاء عن نهيه.

فمن امتثل أمر الله عزّ وجلّ في الجهادين حصلت له المجازاة دنيا وآخرة.

الجراحات في جسد الشهيد كالفصد في يد أحدكم لا ألم لها عنده.

والموت في حق المجاهد لنفسه التائب من ذنوبه كشرب العطشان للماء البارد. [٨٣]

عظ نفسك

قال أبو محمد:

يا غلام! عظ نفسك أولاً، ثم عظ نفس غيرك.

عليك بخويصة نفسك.

لا تتعدَّ إلى غيرك وقد بقي عندك بقية تحتاج إلى إصلاحها.

ويحك! أنت تعرف كيف تخلِّص غيرك؟

أنت أعمى، كيف تقود غيرك؟

إنما يقود الناسَ البصيرُ، إنما يخلِّصهم من البحر السابحُ المحمود.

إنما يردُّ الناسَ إلى الله منْ عرفه، أما منْ جهله كيف يدل عليه؟ [١١]

ما يحب لنفسه

قال أبو محمد:

قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١].

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

هذا قول أميرنا ورئيسنا وكبيرنا وقائدنا وشفيعنا، مقدم النبيين والمرسلين والصديقين، من زمان آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

قد نفى كمال الإيمان عمن لا يحب لأخيه المسلم مثل ما يحب لنفسه.

إذا أحببت لنفسك أطايب الأطعمة، وأحسن الكسوة، وأطيب المنازل، وأحسن الوجوه، وكثرة الأموال، وأحببت لأخيك المسلم بالضدِّ من ذلك، فقد كذبت في دعواك كمال الإيمان.

يا قليل التدبير! لك جار فقير، ولك أهل فقراء.

ولك مال عليه زكاة، ولك ربح كل يوم، ربح فوق ربح، ومعك قدر يزيد على قدر حاجتك إليه.

فمنعك لهم عن العطاء، هو الرضى بما هم فيه من الفقر.

ولكن إذا كانت نفسك وهواك وشيطانك وراءك، فلا جرم لا يسهل عليك فعل الخير.

معك قوة حرص، وكثرة أمل، وحب الدنيا، وقلة تقوى وإيمان.. وما عندك خبر!!

من كثرت رغبته في الدنيا، واشتد حرصه عليها.. نسي الموت، ولقاء الحق عزّ وجلّ.

يا قوم! تشبعون وجيرانكم جياع، وتدعون أنكم مؤمنون؟ ما صح إيمانكم! يكون بين يدي أحدكم طعام كثير، يفضل عنه وعن أهله، ويقف السائل على بابه، ويُرَدُّ خائباً؟!

عن قريب تبصر خبرك، عن قريب تصير مثله، وتُرَدُّ كما رددته، مع القدرة على عطائه. [٨٥ ـ ٨٦]

متزود ومتمتع

قال أبو محمد:

المؤمن يتزود، والكافر يتمتع.

المؤمن يتزود لأنه على الطريق، يقنع باليسير من ماله، ويقدم الكثير إلى الآخرة، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب، بقدر ما يحمله.

كل ما له في الآخرة، كل قلبه وهمته هناك.

كان الحسن البصري رحمه الله يقول: يكفي المؤمن ما يكفي العنيزة، كفّ من حشفٍ[1] وشربة ماء.

المؤمن يتقوت والمنافق يتمتع.

المؤمن يتقوت لأنه في الطريق ما وصل إلى المنزل، قد علم أن له في المنزل كل ما يحتاج إليه.

---

(١) الحشف: أردأ التمر، ومراده هنا: الشيء القليل.

والمنافق لا منزل له، لا مقصد له.

ما أكثر تفريطكم في الأيام والشهور، تقطعون الأعمار بلا نفع.

أراكم لا تفرطون في دنياكم، وتفرطون في أديانكم!!

اعكسوا تصيبوا.

الدنيا ما بقيت على أحد، وهكذا لا تبقى عليكم.

[٧٢، ٨٧]

البكاء عبادة

قال أبو محمد:

الحق عزّ وجلّ أَهْلٌ أن يخاف ويرجى، ولو لم يخلق جنة ولا ناراً.

أطيعوه طلباً لوجهه، ما عليكم من عطائه وعقابه؟!

طاعته: في امتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، والصبر مع أقداره.

توبوا إليه، ابكوا بين يديه.

ذلوا له بدموع أعينكم وقلوبكم.

البكاء عبادة، وهو مبالغة في الذل.

إذا مت على التوبة والنية الصالحة والأعمال الزكية، نفعك الحق عزّ وجلّ. [٨٨]

نظر الصديقين

قال أبو محمد:

العقلاء النجباء الصديقون قد نُفِخَ في صورهم. وقد أقاموا القيامة على نفوسهم، وأعرضوا عن الدنيا بهممهم، عبروا الصراط بتصديقهم.

ساروا بقلوبهم حتى وقفوا على باب الجنة.

من قوي إيمانه، وتمكن في إيقانه، رأى بقلبه جميع ما أخبره الله عزّ وجلّ به من أمور القيامة:

يرى الجنة والنار، وما فيهما.

يرى الصُّور، والملكَ الموكلَ به.

يرى الأشياء كما هي: يرى الدنيا وزوالها، وانقلاب دول أهلها، يرى الخلق كأنها قبور تمشي. وإذا اجتاز على القبور أحسَّ بما فيها من النعيم والعذاب.

يرى القيامة وما فيها. يرى رحمة الله عزّ وجلّ وعذابه.

يرى الملائكة قياماً، والأنبياء والمرسلين والأولياء على مراتبهم.

يرى أهل الجنة يتزاورون، وأهل النار في النار يتعادون[1].

من صح نظره:

نظر بعين رأسه الخلقَ.

وبعين قلبه إلى فعل الله عزّ وجلّ فيهم.

يرى تحريكه وتسكينه لهم.

فهذا نظر العزة[2] من أولياء الله عزّ وجلّ. [٩٢ ـ ٩٣]

مواصلة الفقراء

قال أبو محمد:

من جملة مواصلة الحق عزّ وجلّ: أن تواصل الفقراء بشيء من مالك، أما علمت أنَّ الصدقةَ معاملة مع الحق عزّ وجلّ، الذي هو غني كريم، وهل يخسر من يعامل الغني الكريم؟ تنفق لوجه اللّه عزّ وجلّ ذرة يعطيك جبلاً، تنفق قطرة يعطيك بحراً، في الدنيا وفي الآخرَ: يوفيك أجرك وثوابك. [٧٠]

---

(١) يتعادون: يعادي بعضهم بعضاً.

(٢) العزة: أي القلة.

الزاهد والمتزهد

قال أبو محمد:

المتزهد المبتدئ في زهده يهرب من الخلق.

والزاهد الكامل في زهده لا يبالي بهم، ولا يهرب منهم، بل يطلبهم لأنه يصير عارفاً لله عزّ وجلّ.

كيف لا يطلبهم وكل دوائهم عنده.

من كملت معرفته لله عزّ وجلّ صار دالاً عليه، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا، يأخذ الخلق من أيديهم.

ولهذا قال بعضهم رَحِمَهُ اللهُ: لا يضحك في وجه الفاسق إلاّ العارف[1].

يا من اعتزل بزهد ـ مع جهله ـ تقدم واسمع ما أقول:

يازهاد الأرض! تقدموا، خربوا صوامعكم، واقتربوا مني.

---

(١) إنه لا يضحك في وجه الفاسق إقراراً له على فسقه، وإنما تأليفاً له ليركن إلى العارف فيسمع منه فيرشده إلى الصواب، وقد جعل الله نصيباً من الزكاة للمؤلفة قلوبهم، فلا بد أن يكون لهم نصيب من وقت العالِم المرشد الذي يدلهم على الطريق السوي.

قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل.

ما وقعتم بشيء!!

تقدموا والقطوا ثمار الحكم رحمكم الله.

ما أريد مجيئكم لي، بل أريده لكم. [٩٥]

لا بد من معلم

قال أبو محمد:

يا غلام! لا قلب لك. كلك نفس وطبع وهوى.

اصحب أرباب القلوب حتى يصير لك قلب.

لا بد لك من شيخ حكيم، عامل بحكم الله عزّ وجلّ يهذبك ويعلمك وينصحك. [١٠٥]

رؤية المنعم

قال أبو محمد:

إذا رأيتم النعم منه ـ سبحانه وتعالى ـ زالت محبة الخلق من قلوبكم.

العارف بالله عزّ وجلّ، المحب له، الناظر إليه بعيني قلبه، الذي يرى الإحسان والإساءة منه، لا يبقى له نظر إلى من يحسن إليه ويسيء من الخلق.

إن ظهر منهم إحسان، رآه بتسخير الحق عزّ وجلّ.

وإن ظهرت منهم إساءة رآها بتسليطه.

ينتقل نظره من الخلق إلى الخالق.

ومع ذلك يعطي الشرع حقه ولا يسقط حكمه.

لا يزال قلب العارف ينتقل من حالة إلى حالة، حتى يقوى زهده في الخلق، والترك لهم والإعراض عنهم، ويرغب في الحق عزّ وجلّ ويقوى توكله عليه. [٩٦]

أنتم عن قريب موتى

قال أبو محمد:

يا قوم، أنتم عن قريب موتى.

ابكوا على أنفسكم قبل أن يُبكى عليكم.

لكم ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة.

قلوبكم مرضى بحب الدنيا والحرص عليها. داووها بالزهد والترك والإقبال على الحق عزّ وجلّ.

سلامة الدين رأس المال، والأعمال الصالحة هي الأرباح.

اتركوا الطلب لما يطغيكم، واقنعوا بما يكفيكم.

العاقل لا يفرح بشيء حلاله حساب، وحرامه عذاب.

أكثركم قد نسوا العقاب والحساب. [١٠٥]

صدأ القلوب

قال أبو محمد:

قال ﷺ: (إن هذه القلوب لتصدأ وإن جلاءها قراءة القرآن)[١].

القلب يصدأ فإن تداركه صاحبه، وإلا انتقل إلى السواد.

يسودُّ لبعده عن النور.

يسودُّ لحبه الدنيا.

يا قوم! اقبلوا من نبيكم، واجلوا صدأ قلوبكم بالدواء الذي قد وصفه لكم.

لو أن بأحدكم مرضاً، ووصف بعض الأطباء له دواءً، لما أهنأه العيش حتى يستعمله. راقبوا ربكم عزّ وجلّ في خلواتكم وجلواتكم.

اجعلوه نصب أعينكم، حتى كأنكم ترونه، فإن لم تكونوا ترونه فهو يراكم. [١٠٦]

---

(١) كنز العمال (٢٤٤١).

ذكر الله

قال أبو محمد:

من كان ذاكراً لله عزّ وجلّ بقلبه فهو الذاكر.

ومن لم يذكر بقلبه فليس بذاكر.

اللسان خادم القلب وتبع له. [١٠٦]

سماع المواعظ

قال أبو محمد:

داوم على سماع المواعظ، فإن القلب إذا غاب عن المواعظ عمي. [١٠٦]

اختيار الجليس

قال أبو محمد:

دع مجالسة من يرغبك في الدنيا، واطلب مجالسة من يزهدك فيها، فالجنس يميل إلى الجنس. [٨١]

أشجار ومياه

قال أبو محمد:

تفكر في عاقبة ما أنت فيه، وقد سهل عليك تركه.

أنت مستظل بشجرة الغفلة، اخرج منها وقد رأيت ضوء الشمس، وعرفت الطريق.

شجرة الغفلة تربى بماء الجهل.
وشجرة اليقظة والمعرفة تربى بماء الفكر.
وشجرة التوبة تربى بماء الندامة.
وشجرة المحبة تربى بماء الموافقة[1]. [١١٢]

جاهل مستغن برأيه

قال أبو محمد:

يا زهاداً على قدم الجهل.. اسمعوا.

كل جاهل بالعلم مستغنٍ برأيه، قابلٌ كلام نفسه وهواه وشيطانه. فهو عبد إبليس، تابع له، قد جعله شيخه.

يا جهالاً ويا منافقين! ما أظلم قلوبكم، وما أنتن روائحكم، وما أكثر لقلقة ألسنتكم..

توبوا من جميع ما أنتم فيه. واتركوا الطعن في أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه. [١١٤]

العلم حجة عليك

قال أبو محمد:

يا غلام! علمك يناديك: أنا حجة عليك إن لم تعمل بي، وحجة لك إن عملت بي.

---

(١) الموافقة: الرضا.

علمك يناديك، ولكنك لا تسمعه لأنه لا قلب لك.
اسمعه بأذن قلبك وسرِّك، واقبل قوله فإنك تنتفع به.
العمل بالعلم يقربك إلى العالم المنزِّل للعلم.
لا تصح متابعتك للرسول ﷺ حتى تعمل بما قال. [٢٣]

إياك نعبد

قال أبو محمد:

يا غلام: أنت تخاطب الحق عزّ وجلّ وتشير إليه بقولك:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

هذا خطاب لحاضر.

[تقول]: إياك حاضر عندي، يا عالماً بي قريباً مني، يا شاهداً علي.

خاطبوه في صلاتكم وغيرها بهذه النية، على هذه الصفة.

ولهذا قال النبي ﷺ.

(اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١]. [١١٥]

---

(١) رواه مسلم (٨).

أدلاء الطريق

قال أبو محمد:

لا يعرف الرياء إلا المخلصون، كانوا فيه وتخلَّصوا منه، هو عقبة في طريق القوم، لا بد لهم من العبور عليها.

الرياء والعجب والنفاق من جملة سهام الشيطان التي يرمي بها القلوب.

اقبلوا من المشايخ.

وتعلموا منهم السير في الطريق الموصل إلى الحق عزّ وجلّ، فإنه طريق قد سلكوه.

سلوهم عن: آفات النفوس والأهوية والطباع، فإنهم قد قاسوا آفاتهم، وعرفوا غوائلهم[1].. بقوا في ذلك زماناً.

فبعد كم وكم حتى غلبوا عليها.

شيطان الجن لا يقدر عليك إلا بشيطان الإنس، وهي النفس والأقران السوء.

استغث بالله عزّ وجلّ واستعن به على هؤلاء الأعداء، فإنه يغيثك. [١٢٢]

---

(١) غوائلهم: الغوائل: الدواهي.

الكسب والتوكل

قال أبو محمد:

عليك بالكسب والتعلق بالسبب إلى أن يقوى إيمانك، ثم انتقل من السبب إلى المسبب.

الأنبياء عليهم السلام اكتسبوا، واقترضوا، وتعلقوا بالأسباب في أول أمرهم وفي آخره توكلوا،

جمعوا بين الكسب والتوكل بداية ونهاية.

ترك الكسب والكدية[1] من الناس عقوبة من الله عزّ وجلّ للعبد. [١٢٦]

رزق العيال

قال أبو محمد:

ويحك: اجعل دكانك ومالك لعيالك، تكسب لهم بأمر الشرع، ويكون قلبك متوكلاً على الله عزّ وجلّ.

اطلب رزقك ورزقهم منه ـ لا من المال والدكان ـ فيجري رزقك ورزقهم على يدك، ويجعل فضله وقربه والأنس به لقلبك.

---

(١) الكدية: شدة الدهر، والمراد هنا، سوائل الناس والشحادة منهم.

يغني عيالك عنك، ويغنيك به.

يغنيهم بما شاء، وكيف يشاء، ويقال لقلبك هذا لك وهذا لعيالك. [١٢٩]

التوبة

قال أبو محمد:

يا غلام! لا تكن مع النفس، ولا مع الهوى.

تب عن ذنوبك، وهرول عنها إلى مولاك عزّ وجلّ.

إذا تبت: فليتب ظاهرك وباطنك.

اخلع ثياب المعاصي بالتوبة الخالصة والحياء من الله عزّ وجلّ حقيقة لا مجازاً.

وهذا من أعمال القلوب، بعد طهارة الجوارح بأعمال الشرع.

القالب له عمل، والقلب له عمل. [١٥]

دِينُك أولاً

قال أبو محمد:

يا مسكين! إبك على نفسك.

يموت ولدك تقوم القيامة عليك، يموت دينك، لا تبالي ولا تبكي عليه.

الملائكة الموكلون بك يبكون عليك، لما يرون من خسرانك في بضاعة دينك.

ما لك عقل!؟

لو كان لك عقل بكيت على ذهاب دينك

معك رأس مال، وأنت لا تتجر به.

هذا العقل والحياء، هما رأس المال، وأنت ما تحسن أن تتجر بهما.

علم لا تعمل به.

وعقل لا تنتفع به.

وحياة لا تفيد.

انتبه من نوم الغفلة، واغسل وجهك بماء اليقظة.

فانظر: ما أنت؟

مسلم أو كافر؟

مؤمن أو منافق؟

موحد أو مشرك؟

مراءٍ أو مخلص؟..

ضرر هذا ومنفعته عائدان إليك. [١٣٢]

لا تسأل الخلق

قال أبو محمد:

لا تسأل الخلق شيئاً، فإنهم عجزة فقراء، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً. [٢٠٩]

ثمرة الوحي

قال أبو محمد:

لا تستهينوا بكلمات الحكماء والعلماء، فإن كلامهم دواء، وكلماتهم ثمرة وحي الله عزّ وجلّ. [٦٨]

الغضب لله

قال أبو محمد:

الغضب إذا كان لله عزّ وجلّ فهو محمود. وإذا كان لغيره فهو مذموم.

المؤمن يحتدُّ لله عزّ وجلّ لا لنفسه.

يحتدُّ نصرة لدينه لا نصرة لنفسه.

يغضب إذا خرق حد من حدود الله عزّ وجلّ، كما يغضب النمر إذا أخذوا صيده.

فلا جرم يغضب الله عزّ وجلّ لغضبه ويرضى لرضاه.

لا تظهر الغضب لله عزّ وجلّ وهو لنفسك، فتكون منافقاً.

إذا فعلت فعلاً، فأزل نفسك وهواك وشيطانك منه، ولا تفعله إلا لله عزّ وجلّ وامتثالاً لأمره.

لا تفعل شيئاً إلا بأمرٍ حزم من الله عزّ وجلّ، إما بواسطة الشرع، أو بإلهام من الله عزّ وجلّ لقلبك مع موافقة الشرع. [١٣٨ ـ ١٣٩]

زيادة الإيمان ونقصانه

قال أبو محمد:

عند أهل السنة: الإيمان يزيد وينقص. يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

هذا في حق العوام.

وأما الخواص:

فيزيد إيمانهم بخروج الخلق من قلوبهم، وينقص بدخولهم إليها.

يزيد بسكونهم إلى الله عزّ وجلّ، وينقص بسكونهم إلى غيره. [١٣٩]

بقعة من الجنة

قال أبو محمد:

جاء مريد إلى حكيم، فقعد بين يديه وقال: إني أتمنى بقعة من الجنة، لا أطلب غيرها.

فقال له الحكيم: ليتك قنعت من الدنيا كقناعتك من الآخرة. [٣٦٤]

الإسلام أول الدرجات

قال أبو محمد:

يا غلام! إذا لم يكن لك إسلام فما يكون لك إيمان.

وإذا لم يكن لك إيمان، فلا يكون لك إيقان.

وإذا لم يكن لك إيقان، فما يكون لك معرفة له ولا علم به.

هذه درجات وطبقات.

إذا صح لك الإسلام، صح لك الاستسلام.

كن مسلماً إلى الله عزّ وجلّ في جميع أحوالك، مع حفظ حدود الشرع والملازمة له.

سلِّم له في حق نفسك وغيرك.

أحسن الأدب معه ومع خلقه. [١٤٧]

تذكركم الآخرة

قال أبو محمد:

قال ﷺ: (زوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر

الآخرة)[1].

قصد الرسول ﷺ بذلك: أن تذكروا الآخرة.

وأنتم تهربون من ذكرها، وتحبون العاجلة.

عن قريب يحال بينكم وبينها بلا أمركم.

يؤخذ من أيديكم الذي أنتم فرحون به..

يا غافلاً! انتبه، ما خلقت للدنيا وإنما خلقت للآخرة.

يا غافلاً عما لا بد لك منه، قد جعلت همك للشهوات واللذات، وجمع الدينار فوق الدينار، وأشغلت جوارحك باللعب..

إن ذكَّرك مذكر الآخرة والموت تقول: نغصت علي عيشي، وتلوي برأسك هكذا وهكذا.

قد جاءك نذير الموت وهو الشيب، وأنت تقصه أو تغيره بالسواد، إذا جاءك أجلك إيش تعمل؟

إذا جاءك ملك الموت ومعه أعوانه، بأي شيء ترده؟

أنت تماطل بالتوبة، وتسوِّف يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، وقد انقضى أجلك، عن قريب تندم. [١٥١ ـ ١٥٢]

---

(١) رواه ابن ماجه (١٥٧١).

لا يأكل طعامك إلا تقي

قال أبو محمد:

عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يأكل طعامك إلا تقي)[1].

إذا أطعمت طعامك للمتقي وساعدته في أمر دنياه كنت شريكه فيما يعمل، ولا ينقص من أجره شيء، لأنك عاونته في قصده، ورفعت عنه أثقاله، وأسرعت خطاه إلى ربه عزّ وجلّ.

وإذا أطعمت طعامك لمنافقٍ مراءٍ عاصٍ وساعدته في أمور دنياه، كنت شريكه فيما يعمل، ولا ينقص من عقوبته شيء لأنك أعنته على معصية الحق عزّ وجلّ، فيرجع شره إليك. [١٥٤]

أتعبوا شياطينكم

قال أبو محمد:

يا قوم! أضنوا[2] شياطينكم بالإخلاص في قول «لا إله إلا الله» لا بمجرد اللفظ.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٨٣).

(٢) أضنوا: الضنا، شدة المرض، والمعنى: كونوا سبب مرض شياطينكم بإخلاصكم.

التوحيد يحرق شياطين الإنس والجن، لأنه نار على الشياطين، ونور للموحدين.

كيف تقول: «لا إلٰه إلا الله» وفي قلبك كَمْ إلٰه؟

كل شيء تعتمد عليه وتثق به دون الله فهو صنمك.

لا ينفعك توحيد اللسان مع شرك القلب.

لا ينفعك طهارة القالب مع نجاسة القلب.

الموحد يضني شيطانه، والمشرك يضنيه شيطانه.

الإخلاص لب الأقوال والأفعال، لأنها إذا خلت منه كانت قشراً بلا لب.

القشر لا يصلح إلا للنار.

اسمع كلامي واعمل به.

العلم يؤخذ من أفواه الرجال، لا من الصحف.

[١٥٥ ـ ١٥٦]

البحث عن طبيب

قال أبو محمد:

من تقدم كانوا يطوفون الشرق والغرب في طلب الأولياء والصالحين، الذين هم أطباء القلوب والدين، فإذا حصل لهم واحد منهم طلبوا منه دواء لأديانهم.

وأنتم اليوم أبغض [الناس] إليكم الفقهاء والعلماء والأولياء، الذين هم المؤدبون والمعلمون.

فلا جرم لا يقع بأيديكم الدواء.

خذ مني دواء لمرض دينك واستعمله، وقد جاءتك العافية [١٦٠]

فكر ثمّ تكلم

قال أبو محمد:

يا قوم! اشتغلوا بذكر الله عزّ وجلّ.

تكلموا بما ينفعكم، واسكتوا عما يضركم.

إن أردت أن تتكلم ففكر فيما تريد أن تتكلم به، وحصل فيه النية الصالحة، ثم تكلم.

ولهذا قيل:

لسان الجاهل أمام قلبه.

ولسان العاقل العالِم وراء قلبه. [١٧٢]

الكسب صنعة الأنبياء

قال أبو محمد:

يا طالب الدنيا بنفاقه، افتح يدك، فما ترى فيها شيئاً.

ويلك! زهدت في الكسب، وقعدت تأكل أموال الناس بدِينِكَ.

الكسب صنعة الأنبياء جميعهم، ما منهم إلا من كان له صنعة. [١٨٧]

العجب بالعمل

قال أبو محمد:

يا معجبين بأعمالهم، ما أجهلكم!

لولا توفيقه ما صليتم ولا صمتم ولا صبرتم.

أنتم في مقام الشرك لا في مقام العجب.

أكثر العباد معجبون بعبادتهم وأعمالهم، طالبون للحمد والثناء من الخلق راغبون في إقبال الدنيا وأربابِها عليهم. وسبب ذلك وقوفهم مع نفوسهم وأهوائهم. [١٧٩]

بيت الحق عزّ وجلّ

قال أبو محمد:

فرغ قلبك الذي هو بيت الحق عزّ وجلّ.

لا تدع فيه غيره.

إذا كانت الملائكة ـ عليهم السلام ـ لا تدخل بيتاً

فيه صورة، فكيف يدخل الحق عزّ وجلّ إلى قلبك وفيه صور وأصنام؟

كلُّ ما سواه صنم.

فكسِّرِ الأصنام وطهر هذا البيت. [١٨١]

شكر النعم

قال أبو محمد:

يا مُنْعَماً عليه! اشكر النعم، وإلا سلبتْ من يدك.

قصَّ جناح النعم بالشكر، وإلا طارت من عندك.

يا قوم! اشكروا الله عزّ وجلّ على نعمه، وانظروها منه، فإنه قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

أين الشكر منكم يا متقلبين في نعمه؟ يا من يرى نعمه من غيره.

تارة ترون نعمه من غيره.

وتارة تستقلونها وتنتظرون ما ليس عندكم.

وتار تستعينون بها على معاصيه. [١٨٧، ١٣]

زمام يشدك

قال أبو محمد:

أنت عبدُ من زمامك بيده.

ـ إن كان زمامك بيد الدنيا فأنت عبدٌ لها.

ـ وإن كان زمامك بيد الأخرى فأنت عبدٌ لها.
ـ وإن كان زمامك بيد الحق عزّ وجلّ فأنت عبدٌ له.
ـ وإن كان زمامك بيد نفسك فأنت عبدُ نفسك.
ـ وإن كان زمامك بيد هواك فأنت عبدُ هواك.
ـ وإن كان زمامك بيد الخلق فأنت عبد الخلق.
فانظر إلى من تسلم زمامك؟ [١٨٨]

أعط السبب حقه

قال أبو محمد:

اشتر [الآلة] والزنبيل، واقعد على باب العمل. فإن قُدِّرَ عملك فسوف تعمل.

أعط السبب حقه.

وتوكل واقعد على باب العمل.

فإن أخذوا [العمال] ولم يأخذوك، فلا تبرح من مكانك، حتى تيأس من أحد يدعوك إلى عمله.

فحينئذٍ ألق نفسك في بحر التوكل، فتجمع بين السبب والمسبب. [٢١١]

فروض

قال أبو محمد:

التوحيد فرض، وطلب الحلال فرض، وطلب ما

لا بد منه من العلم فرض، والإخلاص في العمل فرض، وترك العوض على العمل فرض[1]. [١١٩]

وهو يتولى الصالحين

قال أبو محمد:

من لم يعمل بعلمه فهو جاهل، وإن كان متقناً لحفظه، والعمل بمعانيه.

تعلمك للعلم من غير عمل يردك إلى الخلق.

وعملك بالعلم يردك إلى الحق عزّ وجلّ. ويزهدك في الدنيا، ويبصرك بباطنك، ويشغلك عن تزيين الظاهر، ويلهمك تزيين الباطن.

فحيئذٍ يتولاك الحق عزّ وجلّ، لأنك قد صلحت له ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

يتولى ظواهرهم وبواطنهم.

يربي ظواهرهم بيد حكمته، وبواطنهم بيد علمه.

فلا يخافون من غيره.

ولا يرجون غيره.

---

(١) ترك العوض: أي أن تعمل العمل خالصاً لوجه الله عزّ وجلّ.

ولا يأخذون إلا منه، ولا يعطون إلا فيه.

يستوحشون من غيره، ويستأنسون به. [٢١٣]

كيفية إنكار المنكر

قال أبو محمد:

يا غلام! لا تنكر على غيرك بنفسك وهواك[١].

بل أنكر عليه بإيمانك، الإيمان هو المنكِر.

إذا أنكرت منكراً غيرة لله عزّ وجلّ أعانك على إزالته، ونصرك على أهله.

وإذا أنكرته بنفسك وهواك وشيطانك وطبعك خَذَلَك، ولم ينصرك على أهله، ولم تقدر على إزالته.

الإيمان هو المنكِر.

فكل منكِر لا يكون إنكاره بالإيمان فليس بمنكِر.

الإنكار بلا «أنت» يكون لله عزّ وجلّ لا لخلقه.

لدينه[٢] لا لنفسك. له لا لك. [٢١٥]

---

(١) أي لا يكن الباعث على إنكار المنكر رؤية نفسك والتفاخر بذلك، ولكن ليكن الإيمان هو الباعث.

(٢) أي أنكر المنكر نصرة لدين الله عزّ وجلّ.

الأخذ بيد العصاة

قال أبو محمد:

لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف.

نعم، يأمره، وينهاه، ويتحمل أذاه.

ولا يقدر على هذا إلا العارفون بالله عزّ وجلّ.

أما الزهاد والعباد والمريدون، فلا.

كيف لا يرحمون العصاة، وهم موضع الرحمة، ومقام التوبة والاعتذار.

العارف خُلُقه من أخلاق الحق عزّ وجلّ، فهو يجتهد في تخليص العاصي من يد الشيطان والنفس والهوى.

إذا رأى أحدكم ولده أسيراً في يد كافر، أليس يجتهد في تخليصه؟

فهكذا العارف.

الخلق جميعهم كالأولاد. [٢٢٤]

اذكر الله تعالى

قال أبو محمد:

قال الله عزّ وجلّ [في الحديث القدسي]: (من شغله

ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)[1].

ذكر اللسان بلا قلب لا كرامة لك به.

الذكر هو ذكر القلب ثم ذكر اللسان.

اذكره حتى يذكرك. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

اذكره حتى يحطَّ الذكرُ عنك أوزارك، وتصير خالياً عن وزر.

تصير بلا معصية، فحينئذٍ يذكرك فيمن يذكر.

فتشتغل به عن خلقه، ويشغلك ذكره عن مسألته.

يصير كل شغلك هو، فتشتغل عن جميع مقاصدك.

إذا تم لك هذا أحبك الله عزّ وجلّ. [٢٥٠]

كما كان الصالحون

قال أبو محمد:

يا قوم، كونوا لله عزّ وجلّ كما كان الصالحون له، حتى يكون لكم كما كان لهم.

إن أردتم أن يكون الحق عزّ وجلّ لكم:

- فاشتغلوا بطاعته.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦).

- والصبر معه.

- والرضا بأفعاله، فيكم وفي غيركم.

القوم زهدوا في الدنيا، وأخذوا أقسامهم[1] بيد التقوى والورع.

ثم طلبوا الآخرة وعملوا أعمالها.

عصوا نفوسهم، وأطاعوا ربهم عزّ وجلّ.

وعظوا نفوسهم، ثم وعظوا نفوس غيرهم. [١١]

ما قسم وما لم يقسم

قال أبو محمد:

دعْ عنك طلب ما قسم وما لم يقسم[2].

فإن طلبك لما قد قسم تعب.

وطلبك لما لم يقسم مقت وخذلان. [٢٥]

الصنعة تدل على الصانع

قال أبو محمد:

استدل بصنعة الله عزّ وجلّ عليه.

---

(١) أقسامهم: ما قسم لهم.

(٢) أي ما قدر وما لم يقدر.

تفكر في الصنعة، وقد وصلت إلى الصانع.

المؤمن الموقن العارف له عينان ظاهرتان وعينان باطنتان.

فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله عزّ وجلّ في الأرض.

ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله عزّ وجلّ في السماوات. [٢٥]

مفتاح كل باب

قال أبو محمد:

إنْ أردت أن لا يبقى بين يديك باب مغلق، فاتق الله عزّ وجلّ، فإنها مفتاح لكل باب.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. [٢٧]

الشكوى

قال أبو محمد:

لا تشكُ من الخالق إلى الخلق.

بل اشكُ إليه.

هو الذي يقدر، وأما غيره فلا.

من كنوز البر: كتمان السر، والمصائب، والأمراض.

فالعاقل: من يلزم بابه، ويعرض عن باب غيره.

الخير كله بيده، والعطاء والمنع بيده، والغنى والفقر بيده، والعز والذل بيده.

ما لأحد معه شيء. [٢٦]

الرضا

قال أبو محمد:

الزموا موافقة الحق عزّ وجلّ في البأساء والضراء، والفقر والغنى، والشدة والرخاء، في السقم والعافية، في الخير والشر، في العطاء والمنع.

ما أرى لكم دواء إلا التسليم إلى الحق عزّ وجلّ.

إذا قضى عليكم بشيء، لا تستوحشوا منه، ولا تنازعوه فيه، ولا تشكوا منه إلى غيره، فإن ذلك مما يزيدكم بلاء.

بل سكوناً وسكوتاً.

إذا كنتم هكذا، لا جرم يغير الوحشة بالأنس. [٣٣]

غافلون

قال أبو محمد:

قد غفلتم! كأنكم لا تموتون.

وكأنكم يوم القيامة لا تحشرون.

وبين يدي الحق لا تُحاسَبون.

وعلى الصراط لا تجوزون.

هذه صفاتكم.

وأنتم تدّعون الإسلام والإيمان!! [٣٥]

الخوف من الله

قال أبو محمد:

الدائرة على الخوف من الله عزّ وجلّ والخشية له.

إذا لم يكن لك خوف منه، فلا أمن لك في الدنيا والآخرة.

الخشية من الله عزّ وجلّ هي العلم بعينه.

ولذلك قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ما يخشى الله عزّ وجلّ إلا العلماء العمال بالعلم، الذين يعلمون ويعملون، ولا يطلبون من الحق عزّ وجلّ

جزاء على أعمالهم، بل يريدون وجهه وقربه.

هم قوم يخشون الله عزّ وجلّ بالغيب، وهو غائب عن عيون ظواهرهم، حاضر نصب عيون قلوبهم.

كيف لا يخافونه، وهو كل يوم في شأن:

يغير ويبدل.

ينصر هذا ويخذل هذا.

يحيي هذا ويميت هذا.

يقبل هذا ويرد هذا.

يقرب هذا ويبعد هذا.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

اللهم قربنا إليك، ولا تبعدنا عنك. [٣٨ ـ ٣٩]

قبول النصيحة

قال أبو محمد:

اقبل نصيحة أخيك المؤمن.

ولا تخالفه، فإنه يرى لك ما لا ترى أنت لنفسك.

ولهذا قال النبي ﷺ: (المؤمن مرآة أخيه)[١].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٨).

المؤمن صادق في نصحه لأخيه المؤمن.

يبين له أشياء تخفى عليه، تفرق له بين الحسنات والسيئات.

يعرِّفه ما له وما عليه.

سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق، وجعله أكبر همي. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء.. ما أنا طالب دنيا.. فرحي بفلاحكم وهمي لهلاككم. [٣٩]

صفاء القلب

قال أبو محمد:

لا تجد راحة في الدنيا.

لأنها دار الكدر. دار الآفات.

لا بدَّ لك من الخروج منها.

فعليك بإخراجها من قلبك، ومن يدك.

فإن لم تقدر، فاتركها في يدك، وأخرجها من قلبك.

فإذا قويتَ، فأخرجها من يدك وأعطها للفقراء والمساكين عيالِ الحق عزّ وجلّ.

ومع ذلك، ما لك منها لا يفوتك.

لا بد من إتيانه سواء كنت غنياً أو فقيراً، زاهداً أو راغباً.

الدائرة على صحة قلبك وسرّك، وصفائهما.

إنهما يصفوان بتعلم العلم، والعمل به، والإخلاص في العمل. والصدق في طلب الحق عزّ وجلّ. [٦٢]

ثياب لا بد أن تخلع

قال أبو محمد:

اخلع ثياب توانيك في حقوق الله عزّ وجلّ.

اخلع ثياب وقوفك مع الخلق وشركك بهم.

اخلع ثياب الشهوات والرعونات والعجب والنفاق، وحبك للقبول عند الخلق وإقبالهم عليك، وعطاياهم لك.

اخلع ثياب الدنيا، والبس ثياب الآخرة.

انخلع من حولك وقوتك ووجودك.

إذا فعلت هذا رأيت ألطافه ـ سبحانه وتعالى ـ حواليك. [٤٤]

صخور أنتم!!

قال أبو محمد:

يا غلام! لعل غداً يأتي عليك، وأنت مفقود من ظهر الأرض غير موجود.

أو لعل هذا يكون [بعد] ساعة أخرى.

إيشِ هذه الغفلة؟

ما أقسى قلوبكم!!

صخور أنتم!!

أقول لكم، وغيري يقول لكم، وأنتم على حالة واحدة.

القرآن يتلىٰ عليكم.

وأخبار الرسول ﷺ وسير الأولين تقرأ عليكم، وأنتم لا تعتبرون، ولا تتغير أعمالكم.

يا غلام، حاسب نفسك قبل مجيء الآخرة.

ولا تغتر بحلم الله عزّ وجلّ عنك، وكرمه عليك.

أنت قائم على أسوإ الأحوال من المعاصي والزلات وظلم الناس.

المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت.

عليك بالتوبة قبل الموت، قبل مجيء الملك الموكل بأخذ الأرواح. [٦٠]

لا تيأس

قال أبو محمد:

لا تيأس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها.

بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة، والثبات عليها، والإخلاص فيها، وطيبه وبخره بطيب المعرفة. [٦٤]

المؤمن لا يعبث

قال أبو محمد:

المؤمن له نية صالحة في جميع تصاريفه.

لا يعمل في الدنيا للدنيا.

يبني في الدنيا للآخرة.

يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط.

يهذب طرق المسلمين.

إن بنى غير هذا، فللعيال والأرامل والفقراء، وما لا بد منه.

يفعل ذلك حتى يُبنىٰ له في الآخرة بدله.

لا يبني لطبعه وهواه ونفسه. [٧٧]

رزقك يطلبك

قال أبو محمد:

لا تهتم برزقك.

فإنَّ طَلَبَهُ لك أشدُّ من طلبك له.

إذا حصل لك رزق اليوم فدع عنك الاهتمام برزق غد.

كما تركت أمس [وقد] مضى. فغدٌ لا تدري هل يصل[1] إليك أم لا.

لو عرفت الحق عزّ وجلّ لاشتغلت به عن طلب الرزق، ولكانت هيبته تمنعك عن الطلب منه.

لأن من عرف الله عزّ وجلّ كَلَّ لسانه. [٧٨]

يريدون وجهه

قال أبو محمد:

عليك بالإخلاص في الأعمال.

وارفع بصرك عن عملك وطلب العوض عليه من الخلق والخالق.

اعمل لوجه الله عزّ وجلّ لا لنعمه.

كن من الذين يريدون وجهه.

اطلب وجهه حتى يعطيك.

فإذا أعطاك ذلك، حصل لك الجنة في الدنيا والآخرة.

في الدنيا القرب منه.

وفي الآخرة النظر إليه، والجزاء الموعود. [٨٢]

---

(١) أي هل يصل «غد» إليك.

شرط المحبة

قال أبو محمد:

شرط المحبة أن لا تكون لك إرادة مع محبوبك.

وأن لا تشتغل عنه بدنيا ولا آخرة ولا خلق.

محبة الله عزّ وجلّ ليست هيئة حتى يدعيها كل أحد.

كم ممن يدعيها وهي بعيدة عنه؟!

وكم ممن لا يدعيها وهي عنده. [٩٠]

تعرضوا لرحمة الله

قال أبو محمد:

تنبهوا من غفلاتكم.

ما أنتم إلا في غفلة عظيمة.

كأنكم قد حوسبتم وعبرتم الصراط، ورأيتم منازلكم في الجنة.

ما هذا الاغترار العظيم؟!

كل واحد منكم قد عصى الله عزّ وجلّ معاصي كثيرة، وهو لا يفكر فيها، ولا يتوب منها، ويظن أنها نسيت.

هي مكتوبة في صحائفكم بتواريخ أوقاتها، يحاسب ويعاقب على القليل والكثير منها.

استيقظوا يا غفل، انتبهوا يا نيام، تعرضوا لرحمة الله عزّ وجلّ [٩٠]

ترضون أزواجكم

قال أبو محمد:

تواصلون الضياء بالظلام في الكد على النفوس التي هي عدوتكم.

ترضون أزواجكم بسخط ربكم عزّ وجلّ.

كثير من الخلق يقدمون رضى أزواجهم وأولادهم على رضى الحق عزّ وجلّ.

إني أرى حركاتك وسكناتك وكل همك لنفسك وزوجتك وولدك.

ما عندك من الحق عزّ وجلّ خبر.

ويحك! أنت لا تعدُّ من الرجال.

الرجل الكامل في رجولته لا يعمل لأحد سوى الحق عزّ وجلّ. [٨٩]

صفات الله تعالى

قال أبو محمد:

أما تستحون! يصف الحق عزّ وجلّ نفسه بصفات

يرضاها له[1].

تتأولونها وتردونها عليه؟

ما يسعكم ما وسع من تقدمكم من الصحابة والتابعين؟

ربنا عزّ وجلّ على العرش،

كما قال، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم. [٩٩]

ما لا تفعلون

قال أبو محمد:

يا من يُعلِّم العلم، وقد قنع منه بالاسم دون العمل،

ماذا ينفعك إذا قلت: أنا عالِم.. قد كذبت.

كيف ترضى لنفسك أنك تأمر غيرك بما لا تعمله أنت. وقد قال عزّ وجلّ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

ويحك! تأمر الناس بالصدق وأنت تكذب.

تأمرهم بالتوحيد، وأنت مشرك.

تأمرهم بالإخلاص، وأنت مراءٍ منافق.

تأمرهم بترك المعاصي، وأنت ترتكبها.

---

(١) أي لنفسه.

قد ارتفع الحياء من عينيك، لو كان لك إيمان لاستحيت. [١٠١]

لا بد من شهادة الشريعة

قال أبو محمد:

كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة.

طر إلى الحق عزّ وجلّ بجناحي الكتاب والسنة. [١٧٩]

ضاع عمرك

قال أبو محمد:

ضاع عمرك في أكلوا وأكلنا، وشربوا وشربنا، ولبسوا ولبسنا.

من أراد الفلاح، فليصبِّر نفسه عن: المحرمات، والشبهات، والشهوات.

ويَصبِر على أداء أمر الله عزّ وجلّ، والانتهاء عن نهيه، وعلى الموافقة لقدره. [١٠٧]

دعاوى

قال أبو محمد:

من ادعى حب الله عزّ وجلّ من غير ورع في خلوته، فهو كذاب.

من ادعى حب الجنة من غير بذل المال والملك، فهو كذاب.

من ادعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقر والفقراء، فهو كذاب. [٣٥٣]

أدب وأدب

قال أبو محمد:

تتأدب مع الخلق بحيث لا ترفع صوتك على صوت أحدهم، حفظاً لأدبك.

وتبارز الحق عزّ وجلّ بالمعاصي، وتعارضه في أفعاله؟! قبيح بك. [٣٥٣]

مخالفات

قال أبو محمد:

ما أكثر ما تخرقون حدود الشرع، وتمزقون دروع تقواكم.

وتنجسون ثياب توحيدكم.

وتطفئون نور إيمانكم.

وتتبغضون إلى ربكم عزّ وجلّ في جميع أفعالكم وأحوالكم.

إذا أفلح الواحد منكم وعمل طاعة، فهي مشوبة بالعجب، ورؤية الخلق، وطلب الحمد منهم عليها.

من أراد منكم أن يعبد الله عزّ وجلّ، فليعتزل عن الخلق، فإن رؤيتهم للأعمال مبطلة لها. [١١٠]

من الداخل إلى الخارج

قال أبو محمد:

يا من قد لبس الصوف.

البس الصوف لسرِّك ثم لقلبك، ثم لنفسك، ثم لبدنك.

بداية الزهد من هناك تكون.

لا من الظاهر إلى الباطن.

إذا صفا السرّ، تعدى الصفاء إلى القلب والنفس، والجوارح، والمأكول والملبوس، وتعدى إلى جميع أحوالك.

أول ما يعمر داخل الدار، فإذا أكملت عمارتها، اخرج إلى عمارة الباب.

لا كان ظاهر بلا باطن. [١١١]

سوق الآخرة

قال أبو محمد:

جميع ما أنت فيه لا ينفعك يوم القيامة، بل يضرك.

هذا المتاع الذي معك ما يبتاع منك هناك.

متاعك الرياء والنفاق والمعاصي، وهي شيء لا ينفق في سوق الآخرة. [١١١]

دليلان

قال أبو محمد:

كل من لم يتبع النبي ﷺ، ويأخذ شريعته في يده، والكتاب المنزل عليه في اليد الأخرى، لا يصل في طريقه إلى الله عزّ وجلّ ويَضِل ويُضِل؛ هما دليلان إلى الحق عزّ وجلّ:

القرآن دليلك إلى الحق عزّ وجلّ.

والسنة دليلك إلى الرسول ﷺ.

صححوا أنسابكم من نبيكم ﷺ، من صحت تبعيته له فقد صح نسبه.

وأما قولك: أنا من أمته من غير متابعة لا ينفعك.

إذا اتبعتموه في أقواله وأفعاله، كنتم معه في صحبته في الدار الآخرة.

امتثلوا ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه، وقد قربتم من ربكم عزّ وجلّ [١١٦ ـ ١١٧]

التمني

قال أبو محمد:

يا غلام! قد قنعت من أحوال الصالحين: بالكلام فيها، والتمني لها.

كالقابض على الماء، يفتح يده فلا يرى فيها شيئاً.

التمني وادي الحمق.

تعمل أعمال أهل الشر، وتتمنى درجات أهل الخير؟! [١١٦]

النية

قال أبو محمد:

يا غلام! إذا تكلمت فتكلم بنية صالحة.

وإذا سكت، فاسكت بنية صالحة.

كل من لم يقدم النية قبل العمل فلا عمل له.

أنت إن تكلمت أو سكت، فأنت في ذنب، لأنك لا تصحح نيتك.

سكوتك وكلامك بغير السنة. [١١٩]

أطباء الدين

قال أبو محمد:

العلماء بالشرع وحقائق الإسلام، هم أطباء الدين الجابرون لكسره.

يا من قد انكسر دينه، تقدم إليهم حتى يجبروا كسرك.

الذي أنزل الداء، هو الذي ينزل الدواء.

هو أعرف بالمصلحة من غيره. [١٢٢]

العلم والدنيا

قال أبو محمد:

يا من يدعي العلم، ويطلب الدنيا من أبنائها، ويذل لهم.

قد أضلك الله على علم.

ذهبت بركة علمك.

ذهب لبه وبقي قشره.

وأنت يا من يدعي العبادة، وقلبه يعبد الخلق، ويخافهم ويرجوهم.

ظاهر عبادتك لله عزّ وجلّ وباطنها للخلق.

كل طلبك وهمك لما بأيديهم، من الدرهم والدينار والحطام، ترجو حمدهم وثناءهم، وتخاف ذمهم وإعراضهم، تخاف منعهم وترجو عطاءهم..

ويلك.. على من تتبهرج؟! [١٢٨]

أين

قال أبو محمد:

أين التائب الثابت على توبته؟

أين المستحيي من ربه عزّ وجلّ، المراقب له في جميع الأحوال؟

أين المتعفف عن المحارم في خلوته وجلوته؟

أين الغاضّ لبصر قلبه وقالبه؟ [١٣٠]

حقائق لا مظاهر

قال أبو محمد:

يا غلام! صفِّ قلبك بأكل الحلال، وقد عرفت ربك عزّ وجلّ[١].

صفِّ لقمتك وخرقتك[٢] وقلبك، وقد صرت صافياً.

---

(١) أي إذا فعلت ذلك عرفت ربك.

(٢) أي لباسك.

التصوف مشتق من الصفاء.

يا من لبس الصوف:

الصوفي الصادق في تصوفه، يصفو قلبه عما سوى مولاه عزّ وجلّ.

وهذا شيء، لا يجيء بتغير الخرق[1]، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل.

وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب. [١١٥]

الزم حدود الشرع

قال أبو محمد:

ما تدري ما اسمك مع القوم، شقي أم سعيد؟

معلوم أن هذا في علم الله عزّ وجلّ وسابقته.

لكن لا تترك الخوف وتتكل على العلم والسابقة فتمرق عن حد الشرع.

اجهد في فعل ما أمرت به، وما عليك من هذا العلم السابق. هذا شيء لا تعلمه أنت ولا غيرك، هو من جملة الغيوب.

---

(١) أي الثياب.

القوم طووا فراش الدنيا، وتنحوا عنها، وقاموا بين يدي مولاهم، واشتغلوا بخدمته.

يأخذون منها تزوداً، لا تنعماً، بل يفعلون ذلك ضرورة.

يقومون بنياتهم على العبادة.

ويحصنون فروجهم من كيد الشيطان ومكره.

يمتثلون في ذلك أمر ربهم عزّ وجلّ، ويتبعون سنة نبيهم ﷺ. كل شغلهم في امتثال الأوامر، واتباع السنة. [١٣٠]

الآخرة قريبة

قال أبو محمد:

يا قوم! الدنيا تذهب، والأعمار تفنى، والآخرة قريبة منكم.

ما همكم لها، بل همكم للدنيا وجمعها.

أنتم أعداء نعمِ الله عزّ وجلّ.

إن كان منه إليكم شر تظهرون.

وإن كان منه إليكم خير تكتمون.

إذا كتمتم نعم الله عزّ وجلّ ولم تشكروه عليها، سلبها منكم. [١٣٣]

همٌّ واحد

قال أبو محمد:

القوم جعلوا لهم همّاً واحداً.

أخرجوا الأشياء من قلوبهم، وأسكنوها شيئاً واحداً لا كالأشياء.

أخلصوا عباداتهم من الرياء والنفاق والسمعة.

حققوا العبودية لربهم عزّ وجلّ.

العالمون العارفون به، عبدوه له، لا لغيره.

أعطوا الربوبية والعبودية حقها.

عبدوه امتثال أمره، ومحبة له، لا لمعنى آخر. [١٣٤]

ضرر الجهل

قال أبو محمد:

أنت تعبد الله عزّ وجلّ بغير علم.

وتزهد بغير علم.

وتأخذ الدنيا بغير علم.

ذلك حجاب في حجاب، مقت في مقت.

لا تميز الخير من الشر.

لا تفرق بين ما هو لك، وما هو عليك.

ما تعرف صديقك من عدوك.

كل ذلك لجهلك بحكم الله عزّ وجلّ، وتركك لخدمة الشيوخ.

شيوخ العمل، وشيوخ العلم. يدلونك على الحق عزّ وجلّ [١٣٥ ـ ١٣٦]

مخاطبة الجاهلين

قال أبو محمد:

عليك بالصمت والحلم عن جهل الجاهلين وثوران طباعهم ونفوسهم وأهويتهم.

أما إذا ارتكبوا معصية الحق عزّ وجلّ، فلا صمت، لأنه يحرم.

يصير الكلام عبادة، وتركه معصية.

إذا قدرت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا تقصر عنه، فإنه باب خير قد فتح في وجهك، فبادر بالدخول. [١٣٩ ـ ١٤٠]

أنواع الشرك

قال أبو محمد:

الشرك في الظاهر والباطن.

الظاهر: عبادة الأصنام.

والباطن: الاتكال على الخلق، ورؤيتهم في الضر والنفع [١٤٤]

البضاعة النافعة

قال أبو محمد:

هذه الدنيا سوق، بعد ساعة لا يبقى فيه أحد.

عند مجيء الليل يذهب أهله منه.

اجتهدوا أنكم لا تبيعون ولا تشترون في هذا السوق إلا ما ينفعكم غداً في سوق الآخرة. فإن الناقد بصير.

توحيد الحق عزّ وجلّ: الإخلاص في العمل له.

هو النافق هناك .. وهو قليل عندكم. [١٤٦]

إياك والكبر

قال أبو محمد:

دعْ عنك التكبر على الحق عزّ وجلّ، وعلى الخلق، فإنه من صفات الجبابرة الذين يكبهم الله عزّ وجلّ على وجوههم في نار جهنم.

إذا أغضبت الحق عزّ وجلّ فقد تكبرت عليه.

إذا أذَّن المؤذن، فلم تجبه بقيامك إلى الصلاة فقد تكبرت عليه.

إذا ظلمت أحداً من خلقه فقد تكبرت عليه.

تُبْ إليه وأخلص في توبتك قبل أن يهلكك بأضعف خلقه، كما أهلك نمروذ وغيره من الملوك. [١٤٤]

متابعة الشرع

قال أبو محمد:

بمتابعة الشرع يحصل الخير.

وبمخالفته يحصل الشر.

من لم يكن الشرع رفيقه في جميع أحواله، فهو هالك مع الهالكين. [١٦١]

لا تتكل على العمل

قال أبو محمد:

اعمل واجتهد...

ولا تتكل على العمل.

فإن التارك للعمل طامع.

والمتكل على العمل معجب مغرور. [١٦١]

الكرامة

قال أبو محمد:

من أحب الكرامة ـ دنيا وآخرة ـ فليتق الله عزّ وجلّ،

لأنه يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. [١٦٩]

لا تتوكل على الخلق

قال أبو محمد:

كيف تثق بما في يديك، وهو معرَّض للزوال.

وتترك الثقة بالله عزّ وجلّ، وهو لا يزول؟

يا متوكلاً على الخلق والأسباب، قد حرمت القوة والتعزز بالله عزّ وجلّ دنيا وآخرة.

ويا واثقاً بما في يديه، قد حرمت الغنى بالله عزّ وجلّ دنيا وآخرة. [١٦٩]

ما أقسى قلوبكم!

قال أبو محمد:

ما أكثر ما أصف ولا تستعملون.

ما أكثر ما أطوِّل وأعرِّض وأشرح ولا تفهمون.

ما أكثر ما أعطيكم ولا تأخذون.

ما أكثر ما أعظكم ولا تتعظون.

ما أقسى قلوبكم وأجهلها به عزّ وجلّ!!

لو كنتم تعرفونه، وتؤمنون بلقائه، وتذكرون الموت وما وراءه، لما كنتم كذلك.

أما شاهدتم موت آبائكم وأمهاتكم وأهاليكم؟

أما شاهدتم موت ملوككم؟

فهلا اتعظتم بهم؟!

هلا غيرتم قلوبكم وبدلتموها؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

تقولون ولا تعملون..

وكم تعملون ولا تخلصون..

كونوا عقلاء.

هذا الذي أنتم فيه لا ينفعكم في الآخرة. [١٧٠]

قضاء الحوائج

قال أبو محمد:

الخلق يقضون حوائجك يوماً، أو اثنين أو ثلاثة، أو شهراً، أو سنة، أو سنتين، وفي الآخرة يضجرون منك.

عليك بصحبة الحق عزّ وجلّ.

وإنزال حوائجك به، فإنه لا يضجر منك ولا يسأم من حوائجك دنيا وآخرة. [١٨٢]

صنم الدينار

قال أبو محمد:

يا واثقاً بالدينار والدرهم اللذين في يدك.

عن قريب يذهبان من يدك عقوبة لك.

قد كانا في يد غيرك، فسلبا منه، وسلما إليك لتستعين بهما على طاعة مولاك ﷻ، فجعلتهما صنماً. [١٨٢]

محاسبة النفس

قال أبو محمد:

يا قوم، لا تؤخروا العرض لأنفسكم، والمحاسبة لها.

عجلوا بذلك على أنفسكم في الدنيا قبل الآخرة.

إذا أردت الفلاح:

فخالف نفسك في موافقة ربك عزّ وجلّ.

ووافقها في طاعته.

وخالفها في معصيته.

[١٩٥، ١٧٣]

حفظ الباطن

قال أبو محمد:

لا تقنع من أحوالهم بالاسم، والتزيي بزيهم، والتشدق بكلامهم.

لا ينفعك ذلك مع مخالفتك لأفعالهم.

أنت كدر بلا صفاء.

دنيا بلا آخرة.

باطل بلا حقيقة.

ظاهر بلا باطن.

قول بلا عمل.

عمل بلا إخلاص.

إخلاص بلا إصابة السنة.

إن الله عزّ وجلّ لا يقبل قولاً بلا عمل، ولا عملاً بلا إخلاص، ولا يقبل شيئاً من الجملة غير موافق لكتابه وسنة نبيه ﷺ.

إن حصل لك قبول الخلق مع كذبك، فما حصل لك قبول الحق عزّ وجلّ.

هو العالم بما في القلوب.

لا تبهرج، فإن الناقد بصير.

إن الله عزّ وجلّ ينظر إلى قلبك، لا إلى صورتك، ينظر إلى ما وراء الثياب والجلود والعظام، ينظر إلى خلوتك، لا إلى جلوتك.

أما تستحي؟!!

جعلت منظر الخلق مُزَيَّناً، ومنظر الحق عزّ وجلّ منجساً!!

إن أردت الفلاح فتب من جميع ذنوبك، وأخلص في توبتك.

تب من شركك بالخلق.

لا تعمل شيئاً إلا لله عزّ وجلّ. [٢٠١]

جهل العاصي

قال أبو محمد:

العاصي جهل ربه عزّ وجلّ فعصاه.

وتابع شيطانه ووافقه.

فلو لم يجهل لما عصى.

لو عرف نفسه وعلم أنها تأمره بالسوء، لما وافقها.

كم أحذرك من إبليس وأعوانه؟!

وأنت تصحبه وتقبل منه!

أعوانه: النفس، والدنيا، والهوى، والطبع، وأقران السوء.
احذر الجميع، فكلهم أعداؤك.
وليس لك محب سوى الله عزّ وجلّ، فإنه يريدك لك، وغيره يريدك له. [٢٠٤]

أنواع من الذكر

قال أبو محمد:
اذكر الحق عزّ وجلّ أولاً بقلبك، ثم بقالبك ثانياً.
اذكره بقلبك ألف مرة، وبلسانك مرة.
اذكره عند مجيء الآفات بالصبر.
وعند مجيء الدنيا بالترك.
وعند مجيء الآخرة بالقبول.
وعند مجيء الحق بالتوحيد.
وعند مجيء غيره ـ في الجملة ـ بالإعراض عنه[١]. [٢٠٧]

الدليل في السفر

قال أبو محمد:
يا مسافراً في طريق الدنيا، لا تفارق القافلة والدليل والرفقاء، وإلا ذهب منك مالك روحك.

---

(١) أي الإعراض عن الغير.

وأنت يا مسافراً في طريق الآخرة، كن أبداً مع الدليل إلى أن يوصلك إلى المنزل.

المريد لا بدّ له من قائد ودليل.

إن أردت الفلاح، فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله ﷻ وعلمه، يعلمك ويؤدبك، ويعرفك الطريق إلى الله ﷻ. [٢١٠]

علاج قساوة القلب

قال أبو محمد:

أدنِ قلبك من الذكر.

وذكِّره يوم النشور.

تفكَّر في القبور الدوارس.

تفكَّر كيف يحشر الحقُّ عزّ وجلّ جميع الخلق، ويقيمهم بين يديه.

إذا دمت على هذا التفكر، زالت قساوة قلبك، وصفا من كدره. [٢٢٨]

اتخاذ الأسباب

قال أبو محمد:

خذ المر والزنبيل، واقعد على باب العمل، حتى إذا طلبت تكون قريباً من المستعمل.

ولا تقعد على فراشك، وتحت لحافك، ومن وراء أغلاق، ثم تطلب العمل. [٢٢٨]

كن واعظ نفسك

قال أبو محمد:

كن أنت واعظ نفسك، ولا تحتجْ إليَّ ولا إلى غيري.

وعظي على ظاهرك.

ووعظك على باطنك.

عظ نفسك بدوام ذكر الموت، وقطع العلائق والأسباب.

تعلق برب الأرباب الخلاق العظيم العليم.

تعلق برحمته ورأفته. [٢٤٣]

مخالطة العلماء

قال أبو محمد:

يا جهال! خالطوا العلماء، واخدموهم وتعلموا منهم.

العلم يؤخذ من أفواه الرجال.

جالسوا العلماء بحسن الأدب، وترك الاعتراض

عليهم، وطلب الفائدة منهم، لينالكم من علومهم، وتعود عليكم بركاتهم، وتشملكم فوائدهم.

جالسوا العارفين بالصمت.

وجالسوا الزاهدين بالرغبة فيهم.

يا جاهل! اترك الدفتر من يدك.

وتعال اقعد هاهنا بين يدي.

العلم يؤخذ من أفواه الرجال، لا من الدفاتر.

يؤخذ من الحال، لا من المقال. [٢٢٨، ٢١٤]

شراء مملوك

قال أبو محمد:

اشترى رجل مملوكاً. وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح.

فقال له: يا مملوك، إيش تريد أن تأكل؟

فقال: ما تطعمني.

فقال له: ما الذي تريد أن تلبس؟

فقال: ما تلبسني.

فقال له: أين تريد أن تقعد في داري؟

فقال: موضع ما تقعدني.

فقال له: ما الذي تحب أن تعمل من الأشغال؟

فقال: ما تأمرني.

فبكى الرجل، وقال: طوبى لي لو كنت مع ربي عزّ وجلّ كما أنت معي.

فقال المملوك: يا سيدي وهل للعبد مع سيده إرادة أو اختيار؟

فقال له: أنت حر لوجه الله. [٢٥٥]

ضبط اللسان

قال أبو محمد:

دعوا أكثر الهذيان، والقيل والقال، وإضاعة المال.

لا تكثروا من القعود مع الجيران والأصدقاء والمعارف لغير سبب، فإن ذلك هوس.

أكثر ما يجري الكذب والغيبة بين اثنين.

والمعصية إنما تتم بين اثنين.

لا يخرج أحد منكم من بيته إلا إلى ما لا بد منه، من مصالحه ومصالح أهله.

اجتهد أن لا تبدأ بالكلام، بل يكون كلامك جواباً.

إذا سألك سائل عن شيء، فإن كان في جوابه مصلحة لك وله، وإلا فلا تجبه. [٢٦٦]

اشتغلوا بما أمرتم

قال أبو محمد:

كل ساعة تسألون الله عزّ وجلّ أن يزيدكم في مأكولكم ومشروبكم وملبوسكم وأرزاقكم.

هذا شيء لا يزيد ولا ينقص، ولو دعا معكم كل داع مجاب الدعوة.

ما يزيد الرزق ذرة، ولا ينقص منه ذرة.

هذا شيء مفروغ منه.

اشتغلوا بما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه.

لا تشتغلوا بما لا بد من مجيئه، لأنه ضمن لكم مجيئه.

الأقسام تجيء في أوقاتها المؤرخة.

الحلو منها والمر.

ما تحبون وما تكرهون. [٢٧٠]

حذر وخوف

قال أبو محمد:

يا غلام! القوم يواصلون الضياء بالظلام في عبادة الحق عزّ وجلّ.

وهم على قدم الخوف والحذر.

يخافون من سوء العاقبة.

جهلوا علم الله عزّ وجلّ فيهم وعاقبة أمرهم.

فواصلوا الضياء بالظلام حزناً وكآبة وبكاء، مع دوام الصلاة والصيام والحج وجميع الطاعات.

ذكروا ربهم عزّ وجلّ بقلوبهم وألسنتهم. [٢٧١]

التخلص من القيود

قال أبو محمد:

يا غلام! أنت مع نفسك في بيت طبعك وهواك.

إني أراك أبد الدهر مقيداً بالخلق والأسباب.

هذا إلى متى؟

تعلَّم مني الخلاص من قيودك.

يا جاهلاً! كيف يرى قلبك الحق عزّ وجلّ، وهو ملآن بالخلق؟

كيف ترى باب الجامع وأنت قاعد في بيتك؟

إذا خرجت من دارك، وأهلك وولدك، رأيت باب الجامع. [٢٧٣]

صلاح القلب

قال أبو محمد:

أربعة أشياء منها صلاح القلب:

الأول: النظر في اللقمة.

الثاني: الفراغ للطاعة.

الثالث: صيانة الكرامة.

الرابع: ترك ما يشغلك عن الله. [٢٧٦]

فروع وأصول

قال أبو محمد:

إذا تعلمت للخلق، عملت للخلق.

وإذا تعلمت لله عزّ وجلّ، عملت له.

وإذا تعلمت للدنيا عملت للدنيا.

وإذا تعلمت للآخرة عملت للآخرة.

الفروع تبنى على الأصول.

كما تدين تدان.

كلٌّ إناء ينضح بما فيه.

تضع في إنائك نفطاً وتريد أن ينضح منه ماء الورد؟!

تعمل في الدنيا للدنيا ولأبنائها، وتريد أن تكون لك الآخرة؟!

الطاعة عمل الجنة والمعصية عمل النار.
وبعد ذلك: الأمر إليه [تعالى] إن شاء أثاب [وإن شاء عاقب]. [٢٧٨]

قصر الأمل

قال أبو محمد:
يا غلام! قصِّر أملك، وقلل حرصك، صلِّ صلاة مودع.
لا ينبغي لمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه، فإن أيقظه الحق عزّ وجلّ في عافية، كان مباركاً، وإلا فيجد أهله وصيته ينتفعون بها بعد موته، ويترحمون عليه.
ليكن أكلك أكل مودع.
ووجودك بين أهلك وجود مودع.
ولقاؤك لإخوانك لقاء مودع.
أوجد في قلبك «أنا مودع».
كيف لا يكون كذلك مَنْ أمره في يد غيره؟! [٢٨٦]

التزام الكتاب والسنة

قال أبو محمد:
الزم ما جاء به الرسول ﷺ، وهو الكتاب والسنة.

فإن من تركهما تزندق، ومن ربقة الإسلام مرق، فيكون النار والعقاب موئله آجلاً، والمقت له عاجلاً.

الزموا التقوى في جميع أحوالكم.

اتقوا الشرك في الأصل، والمعاصي في الفرع.

ثم تعلقوا بحبلي الكتاب والسنة، ولا تخلوهما من أيديكم. [٢٩٠ ـ ٢٩١]

نظرة تمحيص

قال أبو محمد:

ويحك! قميص إسلامك مُخَرَّق.

ثوب إيمانك نجس.

أنت عريان.

قلبك جاهل.

سرك مكدر.

صدرك بالإسلام غير مشروح.

باطنك خراب وظاهرك عامر.

صحائفك مسودة.

دنياك التي تحبها عنك راحلة، والقبر والآخرة مقبلان إليك.

تنبه لأمرك وما تصير إليه عن قريب.

ربما كان موتك اليوم، أو في هذه الساعة.

يحال بينك وبين آمالك، ما تؤمله من الدنيا لا تجده ولا تلحقه، وما قد أُنْسِيته من الآخرة فهو يلحقك.

الاشتغال بغير الله هوس.

والخوف من غيره والرجاء له هوس.

أحد لا يضرنا ولا ينفعنا غير الله عزّ وجلّ. [٢٩٥ ـ ٢٩٦]

تعجب!!

قال أبو محمد:

لَمَ تقولون شيئاً وفعلكم يكذب قولكم؟

أما سمعتم قول ربكم عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف].

ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم.

تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم.

تتعجب من كذبكم في توحيدكم.

كل حديثكم في الغلاء والرخص، وأحوال السلاطين والأغنياء، أكل فلان، لبسَ فلان، تزوجَ فلان، استغنى فلان، افتقر فلان..

كل هذا هوس ومقت وعقوبة.

توبوا، واتركوا ذنوبكم.

ارجعوا إلى ربكم دون غيره، اذكروه وانسوا غيره.

[٣٠١]

فرج ومخرج

قال أبو محمد:

إذا اتقيت الله ﷻ جاءك منه الفرج في جميع أحوالك.

أما سمعته كيف قال:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

هذه الآية غلقت باب الاتكال على الأسباب.

غلقت باب الأغنياء والملوك، وفتحت باب التوكل.

من يتقيه يجازيه بأن يجعل له فرجاً ومخرجاً مما ضاق على الناس. [٣٠٢]

صرخة

صرخ رجل في مجلسه وقال: الله.

فقال أبو محمد: سوف تسأل عن هذا، تحاسب عليه، لِمَ قلت؟ رياءً أو نفاقاً، إخلاصاً أو شركاً؟ [٣٦٩]

علماء الدنيا

قال أبو محمد:

لا تسمعوا من هؤلاء الذين يُفْرِحُون نفوسكم.

يذلون للملوك.

ويصيرون بين أيديهم كالذر.

لا يأمرونهم بأمره ولا ينهونهم عن نهيه.

وإن فعلوا ذلك فعلوه نفاقاً وتكلفاً.

طهَّرَ الله منهم الأرض ومن كل منافق، أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه. [٣٠٦]

«أنا» و«لي»

قال أبو محمد:

كونوا عقلاء.

ما أرى لكم قلوباً ولا معرفة بالمقلِّب[١].

نفوسكم غير مروَّضة.. غير معلَّمة..

هي ملأى من الكبر والعظمة.

---

(١) المقلب: هو الله سبحانه وتعالى ومنه دعاؤه ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

طريق الحق عزّ وجلّ ليس فيها: «أنا» و«لي» و«معي». [٣٠٦]

أكل الشهوات

قال أبو محمد:

أكل الشهوات يقسي القلب. ويزيل الفطنة، ويكثر النوم والغفلة، ويقوي الحرص، ويطول الأمل. [٣١١]

من كلام الإمام أحمد

قال أبو محمد:

كان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول:

إنما هو لباس دون لباس، وطعام دون طعام، وأيام قلائل. [٣١٧]

بيع في الصلاة

قال أبو محمد:

أنت إذا قمت إلى الصلاة، بعت واشتريت، وأكلت وشربت ونكحت.

بقلبك، بوسوستك.

قيل له ما دواء ذلك؟

قال: تصفية لقمتك من الحرام والشبهة.

والدواء الثاني: مخالفة النفس فيما تأمرك به من ارتكاب المناهي. [٣٢٧]

أرض المؤمن

قال أبو محمد:

الإخلاص أرض المؤمن.

والأعمال حيطانها.

والحيطان تتبدل وتتغير، وأما الأرض فلا.

إنما تأسيس البنيان على التقوى. [٣٣٥]

مصاحبة الغفلة

قال أبو محمد:

اسمك مذنب!

اسمك غداً: محاسب ومناقش.

أنت في القبر مذموم، لا تدري أمن أهل النار أنت أم من أهل الجنة؟

عاقبتك مبهمة.

فلا تغتر بصفاء حالك.

ما تدري ما اسمك غداً.

يا بني إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح.

ذهب أمس بما فيه، شاهد لك وعليك.

وغداً، لا تدري تلحقه أو لا.

إنما أنت ابن يومك. ما أغفلك!

علامة غفلتك مصاحبتك الغفلة، يا أحمق! [٣٤٣]

ليس من الدنيا

قال أبو محمد:

ليس من الدنيا ما لا بد منه.

ليس من الدنيا: بيت يكنُّك، ولباس يسترك، وخبز يشبعك وزوجة تسكن إليها.

حياة الدنيا: نفسك وهواك وطبعك.

هذه الدنيا.

الحياة الدنيا: الإقبال على الخلق، والإدبار عن الحق. [٣٤٤]

محاسبة النفس

قال أبو محمد:

المؤمن يقول: ما أردتِ بكلمتي[١]؟

ما أردتِ بخطوتي؟

---

(١) الخطاب للنفس.

ما أردتِ بأكلتي؟

محاسباً لنفسه، مؤدباً:

لَمَ فعلتِ؟ لَمَ صنعتِ؟ هل هذا يوافق الكتاب والسنة؟

عليكم باليقين بعد المحاسبة، فإنه لب الإيمان.

ما أُديتِ الفرائضُ إلا باليقين.

ما زُهِدَ في الدنيا إلا باليقين. [٣٤٩]

استدراج

قال أبو محمد:

دنياكم قد أعمت قلوبكم، فما تبصرون بها شيئاً.

احذروا منها.

فهي تمكنكم من نفسها تارة بعد أخرى حتى تستدرجكم، وفي الأخيرة تذبحكم.

تسقيكم من شرابها وبنجها، ثم تقطع أيديكم وأرجلكم.

فإذا ذهب البنج، وجاءت الإفاقة رأيتم ما صنعت بكم. [٨٠]

الوصية الأخيرة

استوصى عبد الوهاب والده الشيخ عبد القادر في مرض موته، فقال:

عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحداً ولا ترجه، وكِلِ الحوائج كلها إلى الله عزّ وجلّ، واطلبها منه.

ولا تثق بأحد سوى الله عزّ وجلّ.

ولا تعتمد إلا عليه سبحانه.

التوحيد، التوحيد، التوحيد.

وجماع الكل التوحيد. [٣٧٣]

كلمات

قال أبو محمد:

كُلْ بكسبك ولا تأكل بدينك. [٢٣]

* * *

اترك التعصب في المذهب، واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة. [٢٥]

* * *

لا تدعُ بلسانك، وقلبك معترض. [٢٩]

* * *

ذِكْرُ الحرث والبذر وقت حصاد الناس لا ينفع. [٢٩]

* * *

أعقلُ الناس من أطاع الله عزّ وجلّ، وأجهل الناس من عصاه. [٣٦]

* * *

لا ينفع لسان عليم وقلب جاهل. [٥٥]

* * *

من لا ينفعك لَحْظُهُ، لا ينفعك وعظه. [١٠٩]

* * *

احفظْ باطنك بالمراقبة لله ﷻ، وظاهرك باتباع السنة. [١٥٦]

* * *

طالب الحمد من الخلق، خائف من ذمهم. [٢٠١]

* * *

من لم يتعظ بالموت، فما إلى وعظه سبيل. [٢١٤]

* * *

من علم ما يطلب، هان عليه ما يبذل. [٢٩٧]

* * *

من لا يخاف الله تعالى لا عقل له. [٣٢١]

* * *

من استغنى برأيه ضلَّ. [٣٥٥]

* * *

الباقة الثانية

من كتاب

فتوح الغيب

لا بد لكل مؤمن

قال أبو محمد:

لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء:

- أمر يمتثله.
- ونهي يجتنبه.
- وقدر يرضى به.

فأقل حالة المؤمنين لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة.

فينبغي أن يلزم همَّها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويأخذ الجوارح بها في سائر أحواله. [٩]

كيفية النظر إلى الدنيا

قال أبو محمد:

إذا رأيت الدنيا بين يدي أربابها بزينتها، وأباطيلها وخداعها، وحصائدها وسمومها القتالة، مع لين مسِّ ظاهرها، وضراوة باطنها، وسرعة إهلاكها، وقتلها لمن مسَّها واغترَّ بها..

فكن كمن رأى إنساناً على الغائط بالبراز، بادية سوأته، فائحة رائحته.

فإنك تغضُّ بصرك عن سوأته، وتسدُّ أنفك من رائحته ونتنه.

فهكذا كن في الدنيا.

إذا رأيتها غضَّ بصرك عن زينتها، وسدَّ أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها. فتنجو منها ومن آفاتها، ويصل إليك قسمك منها وأنت مهنأ.

قال الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه]. [١٣]

النفس بين البلاء والعافية

قال أبو محمد:

النفس لها حالتان، لا ثالث لهما: حالة عافية، وحالة بلاء.

فإذا كانت في بلاء: فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا، لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب، والشرك بالحق والأسباب.

وإذا كانت في عافية: فالشره والبطر واتباع الشهوات واللذات. كلما نالت شهوة طلبت أخرى.

واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس، ومنكوح ومركوب.

فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً ونقصاً، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها.

فترتكب الغمرات وتخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى.

وإذا كانت في بلاء: لا تتمنى سوى انكشافها، وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة، ولا تطلب شيئاً منها، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرهها وبطرها، وإعراضها عن طاعة ربها، وانهماكها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر، وما حلّ بها من الويل..

فلو أحسنتِ الأدبَ عند انكشاف البلية، ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم، لكان خيراً لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عزّ وجلّ.

فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة، فعليه بالصبر

والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق، وإنزال حوائجه بربه عزّ وجلّ، ولزوم طاعته، وانتظار الفرج منه، والانقطاع إليه عزّ وجلّ.

إذْ هو خير من غيره، ومن جميع خلقه: حرمانه عطاء، عقوبته نعماء، بلاؤه دواء، وَعْدُه نقد، قوله فعل.. كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به.

فالأولى واللائق بحالة الرضى والتسليم، والاشتغال بالعبودية، من أداء الأوامر، والانتهاء عن النواهي، والتسليم في القدر..

والسكوت عن «لِمَ» و«كيف» و«متى». [٧٣ ـ ٧٤]

ارحم نفسك

قال أبو محمد:

احذر، لا يلهيك عن مولاك غيرُ مولاك.

وكل من سوى مولاك غيره.

فلا تؤثر عليه غيره، فإنه خلقك له، فلا تظلم نفسك فتشتغل بغيره عن أمره، فيدخلك النار، التي وقودها الناس والحجارة فتندم، فلا ينفعك الندم، وتعتذر فلا تُعْذَر، وتستعتب فلا تُعْتَب، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع.

ارحم نفسك وأشفق عليها، واستعمل الآلات والأدوات التي أعطيتها في طاعة مولاك، من العقل والإيمان والمعرفة والعلم. [٢٧]

دع ما يريبك

قال أبو محمد:

قال ﷺ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[١].

دعْ ما يريبك إذا اجتمع مع ما لا يريبك، فخذ بالعزيمة التي لا يشوبها ريب ولا شك، ودع ما يريبك.

دعْ ما في أيدي الخلق فلا تطلبه، ولا تعلق قلبك به، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم، وخذ من فضل الله عزّ وجلّ، وهو ما لا يريبك.

وليكن لك مسؤول واحد، ومعطٍ واحد، ومرجو واحد، ومخوف واحد، وموجود واحد، وهو ربك عزّ وجلّ، الذي نواصي الملوك بيده، وقلوب الخلق بيده، وأموال الخلق له عزّ وجلّ. [٣٩]

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧٢٧).

الأصنام كثيرة

قال أبو محمد:

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب.

بل هو متابعتك هواك.

وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها.

فما سواه عزّ وجلّ غيره.

فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عزّ وجلّ غيره.

فاحذر ولا تركن.

وخف ولا تأمن.

وفتش، فلا تغفل فتطمئن. [١٧]

الرضا بالحال

قال أبو محمد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه].

فهذا تأديب منه عزّ وجلّ لنبيه المختار ﷺ في حفظ الحال والرضى بالعطاء.. وترك الالتفات إلى ما سواه.

لأنه لا يخلو: إما أن يكون قسمك، أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد، بل أوجده الله فتنة.

فإن كان قسمك وصل إليك، شئت أم أبيت، فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه، فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل.

وإن كان قسم غيرك، فلا تتعب فيما لن تناله، ولا يصل إليك أبداً.

وإن كان ليس بقسم لأحد، بل هو فتنة، فكيف يرضى العاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة، ويستجلبها لها؟ [١٩]

الناس أربعة

قال أبو محمد:

الناس أربعة رجال:

رجل لا لسان له ولا قلب.

وهو العاصي الغرُّ، الغبي، لا يعبأ الله به ولا خير فيه. وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم، إلا أن يعمهم الله عزّ وجلّ برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به، ويحرك جوارحهم بالطاعة له عزّ وجلّ.

فاحذر أن تكون منهم، ولا تكترث بهم.. فإنهم أهل العذاب والغضب والسخط، سكان النار وأهلها، نعوذ بالله عزّ وجلّ منهم.

إلا أن تكون من العلماء بالله عزّ وجلّ ومن معلمي الخير.. فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله ﷻ..

الرجل الثاني رجل له لسان بلا قلب.

فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله، وهو يفر منه عزّ وجلّ.

يستقبح عيبَ غيره، ويدوم هو على مثله في نفسه.

يظهر للناس تنسكاً، ويبارز الله عزّ وجلّ بالعظائم من المعاصي، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب.

وهو الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله: (أخوف ما أخاف على أمتي من كل منافق عليم اللسان)[1].

نعوذ بالله من هذا، فابتعد منه، وهرول لئلا يختطفك بلذيذ لسانه.

والرجل الثالث قلب بلا لسان وهو مؤمن.

ستره الله ﷻ من خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصَّره بعيوب نفسه، ونور قلبه وعرَّفه غوائل مخالطة الناس..

فهذا رجل ولي الله عزّ وجلّ.. فالخير كل الخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ٣/ ٩٧٠.

والرجل الرابع المدعو في الملكوت بالعظيم.

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (من تعلَّم وعلَّم كتب في ملكوت السماوات عظيماً)[1] وهو العالم بالله عزّ وجلّ وآياته.. اصطفاه واجتباه.

فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة، فعليك به، واحذر أن تعاديه..

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك، إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً.. هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه. [٥٧ ـ ٥٩]

رأس مال وربح

قال أبو محمد:

اجعل آخرتك رأس مالك، ودنياك ربحه.

واصرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك، ثم إن فضل من زمانك شيء، اصرفه في دنياك وفي طلب معاشك.

ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه، فإن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك، تقضي فيها

---

(١) كنز العمال (٢٨٨٥٠).

الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان من غير ركوع وسجود.. [٦٣]

كن بواب قلبك

قال أبو محمد:

اخرج من نفسك وتنحَّ عنها، وانعزل عن ملكك، وسلم الكل إلى الله.

فكن بوابه على قلبك، وامتثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانتهِ بنهيه في صد من يأمرك بصده.

فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن أُخرج منه.

فأخرج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها.

فلا ترد إرادة غير إرادته تعالى، وغير ذلك منك تمنٍّ وهو وادي الحمقى. [١٦]

اتق الشرك

قال أبو محمد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

اتق الشرك جداً ولا تقربْه.

واجتنبه في حركاتك وسكناتك، وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك.

واحذر المعصية في الجملة، في الجوارح والقلب، واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن.

لا تهرب منه ـ عزّ وجلّ ـ فيدركك.

ولا تنازعه في قضائه فيقصمك.

ولا تتهمه في حكمه فيخذلك.

ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك.

ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك.

ولا تقل في دينه بهواك فيرديك ويُظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك. [٤٢]

الحب والبغض في الله

قال أبو محمد:

إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه، فاعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة [وأنت تبغضه] فأبشر بموافقتك الله عزّ وجلّ ورسوله.

وإن كانت أعماله فيهما محبوبة، وأنت تبغضه، فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له

ببغضك إياه، وعاصٍ لله ﷻ ولرسوله، مخالف لهما.

فتب إلى الله عزّ وجلّ من بغضك، واسأله عزّ وجلّ محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عزّ وجلّ.

وكذلك افعل بمن تحبه.

يعني: اعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه، وإن كانت مبغوضة فأبغضه، كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك، وقد أمرت بمخالفة هواك.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦]. [٥٥]

تقييد النعم بالشكر

قال أبو محمد:

ينبغي للعبد المنْعَم عليه أن لا يأمن مكر الله عزّ وجلّ، فيغتر بالنعمة، ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها، ويرخي قيدها بتركه لشكرها.

فشكر نعمة المال: الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عزّ وجلّ، والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال، ورؤية فضله ومنته عزّ وجلّ.

وأن لا يتملك عليه[1] ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه.

ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، وتفقد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد، عند تقلُّب الأحوال.

وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء: في الاستعانة بها على الطاعات، والكف عن المحرمات والسيئات، والمعاصي والآثام.

فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب.

فإن لم يفعل ذلك، واغتر بما ظهر من زينة الدنيا، وبما ذاق من لذاتها، واطمأن إلى بريق سرابها، وما لاح من برقها.. وغفل عن حيَّاتها وعقاربها، وعمي عن سمومها القاتلة المودعة في أعماقها.. فليتهيأ للردى، وليستبشر بالعطب والفقر العاجل. [٧٦ ـ ٧٧]

أنواع الابتلاء

قال أبو محمد:

المبتلى بما قضى ربه عزّ وجلّ:

---

(١) أي لا يرى نفسه مالكاً له، بل وكيلاً عليه.

ـ تارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها، ومعصية اقترفها.

ـ وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً.

ـ وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات، وتبليغ المنازل العاليات. ليلحق بمن سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات. الذين لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن اختبرهم بها اصطفاء واجتباء.. فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من درن الشرك، والعلق بالخلق والأسباب.

[ولكل علامات]:

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات: عدم الصبر عند وجودها، والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيئات: وجود الصبر الجميل، من غير شكوى.

وعلامة الابتلاء لرفع الدرجات: وجود الرضا، وطمأنينة النفس، والسكون بفعل إلٰه الأرض والسماوات.. [٧٧ ـ ٧٨]

النوم والموت

قال أبو محمد:

من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة، فقد اختار الأنقص والأدنى، واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح.

لأن النوم أخو الموت.

ولهذا لا يجوز النوم على الله، لما انتفى عزّ وجلّ عن النقائص أجمع.

وكذلك الملائكة لما قربوا منه ﷻ نفي النوم عنهم.

وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضيع وأطهرها وأنْفَسِها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً في حالهم.

فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة.

فمن أكل بهواه، أكل كثيراً، فشرب كثيراً، فنام كثيراً، فندم كثيراً طويلاً، وفاته خير كثير. [٨١]

أولويات

قال أبو محمد:

ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض.

فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن.

ثم يشتغل بالنوافل الفضائل.

فما لم يفرغ من الفرائض، فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة، إن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه[1]. [٨٠]

أنت بين حالين

قال أبو محمد:

لا يخلو أمرك من قسمين: إما أن تكون غائباً عن القرب من الله، أو قريباً منه واصلاً إليه.

فإن كنت غائباً عنه، فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر، والنعيم والعز الدائم.. والسلامة والغنى..؟

فقم وأسرع في الطيران إليه عزّ وجلّ بجناحين:

ـ أحدهما: ترك اللذات والشهوات، الحرام منها والمباح، والراحات أجمع.

ـ والآخر: احتمال الأذى والمكاره، وركوب العزيمة، والخروج من الخلق والهوى..

---

(١) قال أبو بكر رضي الله عنه في وصيته لعمر رضي الله عنه: إن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة.

وإن كنت من المقربين الواصلين إليه عزّ وجلّ، ممن أدركتهم العناية.. ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب، ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، وتخلد إلى الرعونة، واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى.. [٨١ ـ ٨٢]

طلب المغفرة

قال أبو محمد:

لا تطلبن من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة.

والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة.

والتوفيق لحسن الطاعة، وامتثال الأمر والرضا بمر القضاء، والصبر على شدائد البلاء.

والشكر على جزيل النعماء، والعطاء.

ثم الوفاة بخاتمة الخير، واللحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ولا تطلب منه الدنيا، ولا كشف الفقر إلى الغنى، بل الرضا بما قسم ودبر. لأنك لا تعلم الخير في أيهما.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أبالي على

أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأني لا أدري الخير في أيهما. [١٠٧]

أين الشكر؟

قال أبو محمد:

كيف يحسن منك العجب في أعمالك، ورؤية نفسك فيها، وطلب الأعواض عليها..

وجمع ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه وقوته وإرادته وفضله.

وإن كان تركَ معصيته، فبعصمته وحفظه وحميته.

أين أنت من الشكر على ذلك، والاعتراف بهذه النعم التي أولاكها. [١٠٨]

وصية

قال أبو محمد:

أوصيك بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر.

وسخاء النفس، وبشاشة الوجه.

وبذل الندى، وكف الأذى، وتحمل الأذى والفقر.

وحفظ حرمات المشايخ والعِشرة مع الإخوان.

والنصيحة للأصاغر والأكابر.

عليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب.

واصحب الأغنياء بالتعزز.

واعلم أنك مسؤول عن حركاتك وسكناتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت، وإياك وفضول تصرفات الجوارح. [١١٤ ـ ١١٥]

الأعمال والوقت

قال أبو محمد:

الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد. [١١٧]

الشهادة على الناس

قال أبو محمد:

لا تقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، وأعلى في الدرجة، وهي تمام السنَّة.

وأبعد عن الدخول في علم الله.

وأبعد من مقت الله، وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته. [١١٨]

قطع طمع النفس

قال أبو محمد:

ينبغي أن تقطع طمعك من الآدميين، ولا تطمع فيما في أيديهم.

فإنه العز الأكبر، والغنى الخاص، والملك العظيم.. واليقين الصافي، والتوكل الشافي الصريح.

وهو باب من أبواب الثقة بالله عزّ وجلّ.

وهو باب من أبواب الزهد.

وبه ينال الورع ويكمل نسكه. [١١٩]

التواضع

قال أبو محمد:

التواضع: هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه، ويقول: عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة.

فإن كان صغيراً، قال: هذا لم يعص الله تعالى، وأنا قد عصيت، فلا شك أنه خير مني.

وإن كان كبيراً، قال: هذا عبدَ الله قبلي.

وإن كان عالماً، قال: هذا أعطي ما لم أبلغ، ونال ما لم أنل، وعلمَ وجهلتُ، وهو يعمل بعلمه.

وإن كان جاهلاً، قال: هذا عصى الله بجهل، وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بمَ يختم لي، وبمَ يختم له..

فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل.

[١١٩ ـ ١٢٠]

المحتوى